



كيف نعالج سوء الأخلاق؟

الشيخ/ندا أبو أحمد



كيف نعالج سوء الأخلاق؟

مَهَيِّدٌ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فُلَامْضِلْ لَهُ، وَمَنْ يَضِلْ فُلَاهَادِي لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهُ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧٠، ٧١)

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله - تعالى -، وخير الهدي، هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

نبض الرسالة

كيف نعالج سوء الأخلاق؟

مقدمة:

وقد أرسل الله تعالى النبي ﷺ ليتم به صالح الأخلاق.

علاج سوء الخلق يتمثل في:

- ١- صدق اللجوء إلى الله، وطلب العون منه:
- ٢- الوقوف على فضائل حسن الخلق:
 - أ- أحبُّ عبادِ الله إلى الله أحسنهم خلقاً.
 - ب- خير العباد عند الله أحسنهم أخلاقاً.
 - ج- حسن الخلق من أفضل الأعمال عند الله تعالى.
 - د- حسن الخلق خير ما أُعطي العبد.
 - هـ- حسن الخلق دليل على كمال الإيمان.
 - و- حسن الخلق يستجلب قلوب الناس، فيكثر الأحاب، ويقل الأعداء.
 - ز- حسن الخلق سبب للسلامة من الخزي.
 - ح- حسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار.
 - ط- حسن الخلق يبلغ بصاحبه درجة الصائم القائم.
 - ي- حسن الخلق من أعظم خصال البر.
 - ك- حسن الخلق سبب لعفو الله ومغفرته.
 - ل- حسن الخلق أثقل عبادة في الميزان يوم القيامة.
 - م- حسن الخلق سبب للبعد عن النار.
 - ن- حسن الخلق أكثر ما يدخل الناس الجنة.
- وشهادة الناس بالخير لمن حسن خلقه؛ سبب في دخول الجنة.
- س- بيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه.
- ع- حسن الخلق سبب في القرب من الرسول صلى الله عليه وسلم.

٣- معرفة عواقب سوء الخلق:

أ- الفأحش البذيء يبغضه الله عز وجل.

ب- سيء الخلق من أشر الناس منزلة يوم القيامة.

ج- سيء الخلق يبغضه الرسول ﷺ وهو من أبعد الناس منه يوم القيامة.

د- سوء الخلق يحبط الأعمال، ويضيع الثواب.

هـ- سوء الخلق سبب للإفلاس يوم القيامة، وسبيل لدخول النار.

٤- العمل بوصية النبي ﷺ:

٥- التواصي بحسن الخلق:

٦- الاقتداء بمن حسنت أخلاقهم:

٧- مصاحبة الأخيار، والبعد عن مصاحبة الأشرار:

٨- تعهد اللسان فلا ينطق إلا بما يرضي الرحمن:

٩- الإكثار من ذكر الله تعالى:

١٠- الإكثار من فعل الطاعات خصوصاً الصلاة:

١١- التخلص من أركان سوء الخلق الأربعة: (الجهل، والظلم، والشهوة، والغضب)

١٢- حمل وتدريب النفس على حسن الخلق:

١٣- الدعاء بأن يرزقه الله حسن الخلق:

مقدمة:

إِنَّ حُسْنَ الْخُلُقِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَصِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ أَهْلِ الْإِحْسَانِ، وَحَلِيَّةُ الْمُتَّقِينَ، وَهُوَ صِفَةٌ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَأَفْضَلُ أَعْمَالِ الصَّادِقِينَ، وَهُوَ عَلَى التَّحْقِيقِ شَطْرُ الدِّينِ، وَثَمَرَةُ مَجَاهِدَةِ الْمُتَّقِينَ، وَرِيَاضَةُ الْمُتَعَبِّدِينَ.

وَالْأَخْلَاقُ الْفَاضِلَةُ مِنْ أَسْسِ بِنَاءِ الْفَرْدِ وَإِصْلَاحِ الْمُجْتَمَعِ، فَسَلَامَةُ الْأُمَّةِ وَقُوَّةُ بُنْيَانِهَا، وَسُمُو مَكَانَتِهَا وَعِزَّةُ أَبْنَائِهَا: بِتَمَسُّكِهَا بِفَضَائِلِ الْأَخْلَاقِ، كَمَا أَنَّ ضِيَاعَ الْأُمَّةِ وَضَعْفَ بُنْيَانِهَا وَشُيُوعَ الْإِنْحِلَالِ فِيهَا وَالرَّذِيلَةَ، وَنَحْرَ الْفِيمِ وَوَادَ الْفَضِيلَةِ سَبَبُهُ: نَبْذُ الْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ وَالْأَفْعَالِ الرَّشِيدَةِ.

وصدق القائل حيث قال:

إِنَّمَا الْأُمَمُ الْأَخْلَاقُ مَا بَقِيَتْ فَإِنْ هُمُ ذَهَبَتْ أَخْلَاقُهُمْ ذَهَبُوا

وَقَدْ بَيَّنَّ لَنَا التَّارِيخُ أَنَّ كُلَّ أُمَّةٍ نَهَضَتْ وَتَوَلَّتِ الرَّيَادَةَ، وَكُلَّ حَضَارَةٍ ازْدَهَرَتْ وَحَقَّقَتِ السَّعَادَةَ، فَإِنَّمَا هُوَ لِيَتَمَسَّكَ أَفْرَادُهَا بِكَرِيمِ الْأَخْلَاقِ، وَطَيِّبِ الْخِلَالِ.

وَالنَّاظِرُ فِي حَالِ الْمُسْلِمِينَ الْأَوَائِلَ يَجِدُ أَنَّهُمْ فَتَحُوا بِلَادًا لَمْ تَتَحَرَكَ إِلَيْهَا جُيُوشٌ، وَلَمْ تُرْزَلْ فِيهَا عُرُوشٌ، وَلَمْ تَقُمْ بِهَا ثُرُوسٌ، وَلَمْ يُرْفَعْ فِيهَا سَيْفٌ وَلَا رُمْحٌ، بَلْ تَجَارَّ صَالِحُونَ ذَهَبُوا يَتَعَامَلُونَ بِالذَّرْهِمِ وَالذِّينَارِ، حَمَلُوا مَعَهُمْ دِينَهُمْ وَأَخْلَاقَهُمْ إِلَى تِلْكَ الدِّيَارِ، أَخْلَاقًا أَدَهَشَتِ الْعُقُولَ وَالْأَفْكَارَ، وَسَلُوكًا حَسَنًا لَفَتَ الْأَنْظَارَ.

أحبتي في الله... إِنَّ الْخُلُقَ الْحَسَنَ أَعْظَمُ شَيْءٍ يَتَحَلَّى بِهِ الْإِنْسَانُ، وَهُوَ مِنْ أَثْقَلِ شَيْءٍ يُوَضَعُ لِلْعَبْدِ فِي الْمِيزَانِ، وَإِنَّ مَجَالَهُ وَاسِعٌ، وَشَعْبَهُ كَثِيرَةٌ، فَمَنْ أBRَزَهَا: أَنْ يَكُونَ الْمَرْءُ وَاسِعَ الصَّدْرِ، رَحِيمَ الْقَلْبِ، رَكِي النَّفْسِ، قَوِي الْإِرَادَةِ، جَمِيلَ الصَّبْرِ، حَمِيدَ الْمُعَاشِرَةِ، صَدُوقَ اللِّسَانِ، مُخْلِصَ الْجَنَانِ، كَامِلَ الرَّجُولَةِ، كَثِيرَ الْحَيَاءِ، حَسَنَ الرَّجَاءِ، سَمَحَ الْمُعَامَلَةِ، حُلُوَ الْمُعَاشِرَةِ، طَلَّقَ الْوَجْهَ، بِسَامًا مَلِيحًا، بَرًّا رَحِيمًا، عَقًّا كَرِيمًا، وَقورًا حَلِيمًا، هَيِّنًا لِينًا، سَهْلًا قَرِيبًا، لَا فَاحِشًا وَلَا مَتَفَحِّشًا، لَا سَبَابًا وَلَا لَعْنًا، لَا نَمَامًا وَلَا مُغْتَابًا، لَا حَسُودًا وَلَا حَقُودًا، لَا بَخِيلًا وَلَا كَذُوبًا وَلَا ظُلُومًا، يُحِبُّ فِي اللَّهِ، وَيُبِغِضُ فِي اللَّهِ، يَرْضَى لِلَّهِ وَيَبْغِضُ لِلَّهِ، يَأْلَفُ النَّاسَ وَيَأْلَفُونَهُ، يَجِدُونَ فِي خِصَالِهِ الْحَسَنَةِ صِفَاتِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَعِنْوَانَ الْإِلْتِزَامِ بِشَرَائِعِ الدِّينِ، فَلَا هُوَ بِالْفِظِ الْغَلِيظِ، وَلَا هُوَ بِالرَّخِوِ السَّخِيفِ، وَلَا يُرْضِي النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ، وَلَا يَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، لَا تَمْنَعُهُ الْإِسْتِقَامَةُ مِنَ الْإِبْتِسَامَةِ، وَلَا تَحْجِزُهُ عَنِ الدَّعَابَةِ وَالطَّرْفَةِ الْمَلِيحَةِ، وَلَا تَدْعُوهُ إِلَى الْإِعْتِزَالِ عَنِ النَّاسِ وَعَدَمِ مَخَالَطَتِهِمْ، وَلَكِنَّهُ يَخَالِطُ النَّاسَ وَيَسْلَمُ عَلَيْهِمْ وَيَبْتَسِمُ إِلَيْهِمْ وَيَصَافِحُهُمْ وَيِمَازِحُهُمْ وَيَحْسُنُ مُعَاشِرَتَهُمْ، وَيَجْعَلُ مِنْ ذَلِكَ سَبِيلًا إِلَى دَعْوَتِهِمْ وَنَصَحَتِهِمْ وَإِرْشَادِهِمْ، فَهُوَ قَرِيبٌ مِنَ النَّاسِ غَيْرٌ بَعِيدٌ عَنْهُمْ، يَعَايِشُهُمْ، وَيَشَارِكُهُمْ أَفْرَاحَهُمْ وَأَحْزَانَهُمْ، فَتَجِدُهُ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ أَخًا مَعِينًا، وَصَاحِبًا وَفِيًّا، وَصَدِيقًا حَمِيمًا، يَفْرَحُ لِفَرَحِهِ، وَيَحْزَنُ لِحَزْنِهِ، وَيُوَاسِيهِ إِذَا أَصَابَهُ مَكْرُوهٌ، فَلَا تَجِدُ أَحَدًا هُوَ أَنْفَعُ لِلنَّاسِ مِنَ الْمُسْلِمِ الْمُتَأَدِّبِ بِأَدَبِ الشَّرِيعَةِ السَّمْحَةِ.

وَلَقَدْ جَمَعَ هَذِهِ الْمَعَانِي بِعِبَارَةٍ مُوجِزَةٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ -رَحِمَهُ اللَّهُ- حِينَ قَالَ عَنْ حُسْنِ الْخَلْقِ: "هُوَ بَسْطُ الْوَجْهِ، وَبَذْلُ الْمَعْرُوفِ، وَكَفُّ الْأَذَى". (أخرجه الدارمي)

يقول يوسف بن أسباط -رحمه الله-: "علامة حسن الخلق عشر خصال: قلة الخلاف - وحسن الإنصاف - وترك طلب العثرات - وتحسين ما يبدو من السيئات - والتماس المعذرة - واحتمال الأذى - والرجوع بالملامة على النفس - والتفرد بمعرفة عيوب نفسه دون غيره - وطلاقة الوجه للصغير والكبير - ولطف الكلام لمن دونه ولمن فوقه".

فمن لم يصادف من نفسه هذه العلامات، فلا ينبغي أن يغتر بنفسه فيظن بها حسن الخلق؛ فإنها درجة رفيعة لا ينالها إلا المقربون والصادقون.

وقد جمع الله تعالى مكارم الأخلاق في قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾

(سورة الأعراف: ١٩٩)

قال جعفر بن محمد -رحمه الله-: "أمر الله نبيه ﷺ بمكارم الأخلاق، وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾".

وقال مجاهد -رحمه الله- في الآية السابقة: "يعني خُذِ الْعَفْوَ من أخلاق الناس وأعمالهم من غير تخسيس، مثل: قبول الأعذار، والعفو والمساهلة، وترك الاستقصاء في البحث، والتفتيش عن حقائق بواطنهم".

وقال السعدي -رحمه الله- في تفسيره: "هذه الآية جامعة لحسن الخلق مع الناس، وما ينبغي في معاملتهم، فالذي ينبغي أن يعامل به الناس، أن يأخذ العفو، أي: ما سمحت به أنفسهم، وما سهل عليهم من الأعمال والأخلاق، فلا يكلفهم ما لا تسمح به طبائعهم، بل يشكر من كل أحد ما قابله به، من قول وفعل جميل أو ما هو دون ذلك، ويتجاوز عن تقصيرهم ويغض طرفه عن نقصهم، ولا يتكبر على الصغير لصغره، ولا ناقص العقل لنقصه، ولا الفقير لفقره، بل يعامل الجميع باللطف والمقابلة بما تقتضيه الحال وتشرح له صدورهم.

﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ أي: بكل قول حسن وفعل جميل، وخلق كامل للقريب والبعيد، فاجعل ما يأتي إلى الناس منك، إما تعليم علم، أو حث على خير، من صلة رحم، أو برِّ والدين، أو إصلاح بين الناس، أو نصيحة نافعة، أو رأي مصيب، أو معاونة على بر وتقوى، أو زجر عن قبيح، أو إرشاد إلى تحصيل مصلحة دينية أو دنيوية، ولما كان لا بد من أذية الجاهل، أمر الله تعالى أن يقابل الجاهل بالإعراض عنه وعدم مقابله بجهله، فمن آذاك بقوله أو فعله لا تؤذه، ومن حرمك لا تحرمه، ومن قطعك فصِّلْهُ، ومن ظلمك فاعدل فيه". اهـ

وكما هو معلوم أن هناك قلوب لا تخلو من أسقام وأمراض، والتي لو أهملت تراكمت العلل وتظاهرت، فيحتاج العبد إلى معرفة علمها وأسبابها، ثم إلى تشمير في علاجها وإصلاحها، فمعالجتها هو المراد بقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ (الشمس: ٩)، وإهمالها هو المراد بقوله: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (الشمس: ١٠)

وتزكية النفوس - بالتحلي بالأخلاق الحسنة، والتخلي عن سيئها مطلب عظيم وربع الرسالة المحمدية^(١)، ولذا أقسم الله عز وجل أحد عشر قسماً متتاليًا - لم تأت إلا في موضع واحد من القرآن الكريم - على أن الفلاح منوط بتزكية النفوس؛ قال تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّاهَا (٢) وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّاهَا (٣) وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا (٤) وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَاهَا (٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (الشمس: ١-١٠)

وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ (الأعلى: ١٤، ١٥)

وتزكية النفوس ملاك دعوة الرسل بعد التوحيد؛ فهذا موسى عليه السلام يقول لفرعون: ﴿هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَزَكَّى (١٨) وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾ (النازعات: ١٨، ١٩)

وتزكية النفوس سبب الفوز بالدرجات العلى والنعيم المقيم؟.

كما قال عز وجل: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى (٧٥) جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ (طه: ٧٥، ٧٦)

وكان من دعاء النبي ﷺ: "اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيِّهَا وَمَوْلَاهَا". (رواه مسلم عن زيد بن أرقم ؓ)

وتزكية النفوس وظيفة الرسل:

قال ابن القيم -رحمه الله-: "إن تزكية النفوس مُسَلَّمٌ إلى الرسل، وإنما بعثهم الله لهذه التزكية وولَّاهم إياها، وجعلها على أيديهم دعوة وتعليمًا، وبيانًا وإرشادًا، لا خلقًا ولا إلهامًا؛ فهم المبعوثون لعلاج نفوس الأمم، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (الجمعة: ٢)

وقال تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٥١) وتزكية النفوس أصعب من علاج الأبدان وأشد؛ فَمَنْ زكى نفسه بالرياضة والمجاهدة والخلوة، التي لم يجر بها الرسل؛ فهو كالمريض الذي يعالج نفسه برأيه، وأين يقع رأيه من معرفة الطبيب؟! فالرسل أطباء القلوب، فلا سبيل إلى تزكيتها وصلاحها إلا من طريقهم، وعلى أيديهم، وبمحض الانقياد، والتسليم لهم، والله المستعان ". (مدارج السالكين: ٢/ ٣١٥)

١- لقوله تعالى: ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾.

وقد جاء النبي ﷺ بالدعوة إلى التوحيد، وجاء أيضًا بالدعوة إلى محاسن الأخلاق، وقد شهد بهذا القاصي والداني، وأن الدعوة إلى صالح الأخلاق والنهي عن سيئها من أصول الدين، وسمة بارزة فيه. فقد أخرج الإمام مسلم من حديث عبد الله بن عباس-رضي الله عنهما- قال: **لَمَّا بَلَغَ أَبَا ذَرٍّ مَبْعَثَ النَّبِيِّ ﷺ بِمَكَّةَ، قَالَ لِأَخِيهِ: ارْكَبْ إِلَى هَذَا الْوَادِي، فَأَعْلَمْ لِي عَلِمَ هَذَا الرَّجُلِ، الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ يَأْتِيهِ الْخَبْرُ مِنَ السَّمَاءِ، فَاسْمَعْ مِنْ قَوْلِهِ، ثُمَّ انْتَبِي، فَاَنْطَلِقَ الْآخِرَ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ، وَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ، فَقَالَ: رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ،...". الحديث**

وجاء في سير أعلام النبلاء للذهبي-رحمه الله- أن النجاشي أرسل إلى أصحاب رسول الله فدعاهم، فلما جاءهم رسوله، اجتمعوا، ثم قال بعضهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول والله ما علمنا، وما أمرنا به نبينا ﷺ كائنا في ذلك ما كان. فلما جاءوه، وقد دعا النجاشي أساقفته، فنشروا مصاحفهم حوله، سألهم فقال: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من هذه الأمم؟ قالت: وكان الذي يكلمه جعفر بن أبي طالب، فقال له: أيها الملك، إنا كنا قوما أهل جاهلية ؛ نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف. فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله لا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام. قالت: فعدد له أمور الإسلام - فصدقناه وآمنا به واتبعناه، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وشقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلدك، واخترناك على من سواك، ورجبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك. قالت: فقال: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ قال: نعم. قال: فاقراه علي، فقرأ عليه صدرا من كهيعص فبكى والله النجاشي حتى أخضل لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلي عليهم، ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة. انطلقا، فوالله لا أسلمهم إليكم أبدا ولا أكاد.

(أخرجه أحمد وأبو نعيم في "حلية الأولياء" والبيهقي في "الدلائل" مختصرا عن أبو بكر بن عبد الرحمن)

وأخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عباس-رضي الله عنهما- قال: **أَخْبَرَنِي أَبُو سُفْيَانَ، أَنَّ هِرْقَلَ قَالَ لَهُ: سَأَلْتُكَ مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ فَزَعَمْتَ: أَنَّهُ أَمْرُكُمْ بِالصَّلَاةِ، وَالصَّدَقِ، وَالْعَفَافِ، وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، قَالَ: وَهَذِهِ صِفَةُ نَبِيِّ.**

وقد أرسل الله تعالى النبي ﷺ ليتمم به صالح الأخلاق:

فقد أخرج الإمام أحمد والحاكم والبخاري في "الأدب المفرد" من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "بُعِثْتُ^(١) لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ^(٢)". (صحيح الجامع: ٢٨٣٣)

- وفي رواية عند الإمام أحمد والبيهقي في "شعب الإيمان": "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ".

(السلسلة الصحيحة: ٤٥) (صحيح الجامع: ٢٣٤٩)

قال الفيروز آبادي - رحمه الله -: "واعلم أن الدين كله خُلق، فمن زاد عليك في الخُلق زاد عليك في الدين"^(٣). (بصائر ذوي التمييز: ٢/ ٥٦٨)

وقد أمر الله بحسن الخلق مع الناس كافة، ولم يستثن، فقال تعالى: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ (البقرة: ٨٣) قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: وقوله تعالى: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ يعني الناس كلهم.

وقال عطاء - رحمه الله -: "لناس كلهم، المشرك وغيره". (شعب الإيمان: ٥/ ٢٨٨)

وقال القرطبي - رحمه الله -: "قال أبو العالية: قولوا لهم الطيب من القول، وجازوهم بأحسن ما تحبون أن تجازوا به".

قال طلحة بن عمر: قلت لعطاء: "إنك رجل يجتمع عندك ناس ذوو أهواء مختلفة، وأنا رجل في حدة، فأقول لهم بعض القول الغليظ، فقال: لا تفعل! يقول الله تعالى: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ فدخل في هذه الآية اليهود والنصارى، فكيف بالحنيفي؟ (الجامع لأحكام القرآن: ٢/ ١٦)

وقال السعدي - رحمه الله - في تفسيره عند الآية السابقة: "ثم أمر الله بالإحسان إلى الناس عموماً فقال تعالى: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ ومن القول الحسن أمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وتعليمهم العلم، وبذل السلام، والبشاشة وغير ذلك من كل كلام طيب. ولما كان الإنسان لا يسع الناس بماله، أمر بأمر يقدر به على الإحسان إلى كل مخلوق، وهو الإحسان بالقول، فيكون في ضمن ذلك النهي عن الكلام القبيح للناس حتى للكفار، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ ومن أدب الإنسان الذي أدب الله به عباده، أن يكون الإنسان نزيهاً في أقواله وأفعاله، غير فاحش ولا بذيء، ولا شاتم، ولا مخاصم، بل يكون حسن الخلق، واسع الحلم، مجاملاً لكل أحد، صبوراً على ما يناله من أذى الخلق، امتثالاً لأمر الله، ورجاء لثوابه". اهـ

فرحم الله من جعل عقله على لسانه رقيباً، وعمله على قوله حسيباً.

١- بُعِثْتُ: أي: أُرْسِلْتُ لِلخُلُقِ.
٢- لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ: أي أكمّل ما انتقص من صالح الأخلاق، لأن العرب كانت تتخلّق ببعض من محاسن الأخلاق بما بقي عندهم من شريعة إبراهيم عليه السلام، ولكن كانوا قد ضلّوا بالكفر عن كثير منها؛ فبعث الله تعالى النبي ﷺ ليتمّم محاسن ومكارم وصالح الأخلاق التي جبل الله عليها عباده؛ من الوفاء والغرّة، والحياء والعفة، فيجعل حسنّها أحسن، ويضيق على سيئها ويمنعها.
٣- ذكر هذا القول أيضاً بنصه ابن القيم - رحمه الله - في "كتاب مدارج السالكين".

وبعد هذه المقدمة وبيان ما ينبغي أن يكون عليه المسلم من أخلاق حميدة، آن لنا الشروع للدخول في الموضوع، والحديث عن كيفية علاج سوء الأخلاق:

أحبتي في الله... أحوال غالب الناس اليوم تؤلم كل حرّ، فقد ساءت الأخلاق في الأقوال والأفعال بصورة لم نعهدها من قبل، فلا يتحدث أحدهم مع صاحبه إلا بأقبح الألفاظ، بل ويقذف الآباء والأمهات، ويقرع أسماعنا ليل نهار الشتم والسب واللعن حتي وصل الأمر إلى سب دين رب العالمين، وساء خلق الزوجة مع زوجها والعكس، وساء خلق الأبناء مع الآباء والعكس، وساء خلق الجار مع جاره- إلا ما رحم ربي، وكثرت وانتشرت المشاجرات ويرى فيها ويُسمع ما لا يُرضي ربّ الأرض والسماوات، من السب واللعن والقذف، والضرب، وربما يصل الأمر إلى القتل، هذا بجانب انتشار الغيبة والنميمة، والكذب، والرشوة، والسرقه والاحتيال... إلخ. تدني وسفول يدهش العقول مما وصل إليه من سوء الاخلاق.

يقول صاحب الإحياء-رحمه الله:- "الأخلاق السيئة هي السموم القاتلة، والمهلكات الدامغة، والمخازي الفاضحة والردائل الواضحة، والخبائث المبعدة عن جوار رب العالمين، المنخرطة بصاحبها في سلك الشياطين، وهي الأبواب المفتوحة إلى نار الله الموقدة، التي تطلع على الأفئدة " (الإحياء: ٥٣/٣)

ويصف أبو حازم سلمة بن دينار-رحمه الله- سيئ الخلق فيقول: "السيئ الخلق أشقى الناس به نفسه التي بين جنبيه، هي منه في بلاء، ثم زوجته، ثم ولده، حتى أنه ليدخل بيته، وإنهم لفي سرور، فيسمعون صوته، فينفرون منه فرقاً^(١) منه، وحتى إن دابته تحيد مما يرميها بالحجارة، وإن كلبه ليراه فينزو^(٢) على الجدار، حتى إن قطه ليفر منه " (سير أعلام النبلاء: ٩٩/٦).

وقال بعض الحكماء: الحسنُ الخلقِ من نفسه في راحة، والناسُ منه في سلامة، والسيءُ الخلقِ من نفسه في عناء، والناس منه في بلاء " (أدب الدنيا والدين للماوردي ص: ٢٣٦).

وقال الأحنفُ بنُ قيسٍ-رحمه الله:- "ألا أخبركم بأدوِّ الداءِ؟ قالوا: بلى. قال: الخُلُقُ الدَّنِيّ، واللسانُ البذيُّ " (المصدر السابق)

ونقل صاحب الإحياء عن بعض السلف أنه قال: "ومن علامَات سيئ الخُلُقِ: أَنْ يَكُونَ قَلِيلَ الْحَيَاءِ، كَثِيرَ الْأَذَى، قَلِيلَ الصَّلَاحِ، كَذُوبَ اللِّسَانِ، كَثِيرَ الْكَلَامِ، قَلِيلَ الْعَمَلِ، كَثِيرَ الزَّلَلِ، كَثِيرَ الْفُضُولِ، لَا بَرًّا وَلَا وَصُولًا، وَلَا وَقُورًا، وَلَا صَبُورًا، وَلَا شَكُورًا، غَيْرَ رَاضٍ، وَلَا حَلِيمًا، وَلَا رَفِيقًا، وَلَا عَفِيفًا، وَلَا شَفِيقًا، لَعَانًا، سَبَابًا، نَمَامًا، مُعْتَابًا، عَجُولًا، حَقُودًا، بَخِيلًا، حَسُودًا، غَضُوبًا، نَكِدًا، يُحِبُّ فِي شَهَوَاتِهِ وَيَبْغِضُ فِيهَا ".

(إحياء علوم الدين: ٧٦/٣)

١- فرقًا: أي خوفًا.
٢- فينزو: أي يشب.

وسوء الأخلاق يُعاقب في الدنيا: بسوادٍ في الوجه، وظلمة في القلب، ووهن في البدن، ونقص في الرزق، وبغض في قلوب الخلق، وحبوط للأعمال، وضياع للثواب، وفي الآخرة: يُعاقب بالبعد عن رب العالمين والنبى الأمين ﷺ، ومآله النار وغضب الجبار.

كما جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد والبخاري في "الأدب المفرد" من حديث أبي هريرة ؓ قال: "قيل للنبي ﷺ: يا رسول الله! إن فلانة تقوم الليل وتصوم النهار وتفعل، وتصدق^(١)، وتؤدي جيرانها بلسانها؟ فقال رسول الله ﷺ لا خير فيها، هي من أهل النار". (صحيح الأدب المفرد: ٨٨)

وأخرج الطبراني والخرائطي في "مكارم الأخلاق" بسند جيد عن أنس بن مالك ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "أن العبد ليبلغ بحسن خلقه درجات الآخرة وشرف المنازل؛ وإنه لضعيف العباد^(٢)، وإن العبد ليبليغ من سوء خلقه أسفل درك جهنم؛ وإنه لقوي العباد^(٣)".

قال يحيى بن معاذ -رحمه الله-: "سوء الخلق سيئة، لا تنفع معها كثرة الحسنات، وحسن الخلق حسنة، لا تضر معها كثرة السيئات". (الإحياء: ٥٧/٣)

ومما سبق يظهر لنا خطورة وعواقب سوء الأخلاق، وأنه مرض خطير، وللأسف استشرى بين كثير من أبناء المسلمين، وهذا المرض يحتاج منا إلى علاج، وقد قال النبي ﷺ: "ما أنزل الله داءً إلا أنزل له شفاءً". (أخرجه البخاري عن أبي هريرة ؓ) فما هو علاج سوء الأخلاق؟

علاج سوء الخلق يتمثل في:

١- صدق اللجوء إلى الله، وطلب العون منه:

فكل إنسان وقع في معصية أو ساء خلقه أو فسد طبعه فعليه أن يتوجه بكليته إلى الله تعالى، وليكن على يقين أنه لا يخرج مماً هو فيه من سوء الأخلاق إلا الله وحده، فهو القادر على أن يأخذ بناصيته إليه. وقد جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم من حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: "كان النبي ﷺ إذا قام من الليل افتتح صلاته: اللهم رب جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك^(٣)؛ إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم^(٤)".

١- وتفعل، وتصدق: وهذا كناية عن فعلها الطاعات والعبادات.
٢- ضعيف العباد: أي ليس كثير النوافل؛ لكنه يقوم بالفرانض ويؤدي الواجبات. فإن حسن خلقه قد يرفع درجته فوق من يكثر العبادات مع سوء الخلق. كما أن سوء الخلق سبب للهلاك ولو كان صاحبه كثير الصلاة أو الصيام.
٣- اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك: أي: تبثني وزدني الهداية إلى الطريق المستقيم الذي دعا إليه الأنبياء والمرسلون، بتوفيقك وتيسيرك.
٤- إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم: وهو طريق الحق الذي لا اعوجاج فيه، وهو دين الإسلام، الذي أرسل الله به محمداً ﷺ، وسُمي صراطاً؛ لأنه موصِل للمقصود كما أن الطريق الحسي كذلك.

وقول النبي ﷺ: "إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ": إخبارٌ بأن الأمر كله بيده سبحانه، وهذا يجعلنا نتوجه بقلوبنا إليه ندعوه أن يُحسن أخلاقنا، فإنه لا يهدي لأحسنها إلا الله، ولا يصرف عنا سيئها إلا الله."

كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم من حديث علي بن أبي طالب ؓ قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة، قال: ... اللهم اهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلَاقِ^(١)، لا يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا، لا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ."

وقوله ﷺ: "لا يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ": أي بيديك وحدك الهداية، فقلوبُ العبادِ بين إصبعين من أصابع الرحمن، يُقلِّبهما كيف يشاء، "واصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا"، أي: باعِدْ عَنِّي قَبِيحَهَا والمذمومَ منها، "لا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ"، وهذا إقرارٌ بأن الله سبحانه هو وحدَه القادرُ على صرفِ السيِّئِ عن عباده.

وعلى المرء أن يغتنم الثلث الأخير من الليل، ويدعو الله تعالى أن يحسن خلقه.

وقد جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرِ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟".

فعليك أن تناجي ربك وتقول: "إلهي وسيدي، عبديك سواي كثير، وليس لي رب سواك! أنا عبدك المذنب الضعيف، وأنت الرب الكريم الجليل، خذ بيدي وناصيتي إليك أخذ الكرام عليك. يا رب عافني من سوء الأخلاق، يا رب حبِّب إليَّ الإيمان، وكرِّه إليَّ الكفر والفسوق والعصيان.

وداوم على ذلك أخي الحبيب حتى يفتح الله لك بابه؛ لأنه من داوم على الطرق فإنه سيفتح له؛ لأنه الكريم لا يرد أحداً ولا يغلق بابه أبداً. فلننتب إلى الله جميعاً شباب وشيبة، رجال ونساء من سوء الاخلاق.

وعدا على زلاته متندماً	قل للذي ألف الذنوب وأجرماً
يولي الجميل تفضلاً وتكرماً	لا تياسنَّ واطلب كريماً دائماً
عند الله لمن يتوب ويندما	يا معشر العاصين جودٌ واسعٌ
تفني زمانك في عسى ولربما	يا أيها العبد المسيء إلى متي
قد ضاع في عصيانه وتصرماً	بادر إلى مولاك.. يا من عمره
يا رب بصّرني وأزل عني العمى	واسأله توفيقاً وعفواً، ثم قل

١- اللهم اهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلَاقِ: أي أرشدني لصوابها، ووفقتي للتخلق بها.

٢- ومن علاج سوء الخلق: الوقوف على فضائل حسن الخلق:

فمن الأسباب التي تعالج سوء الخلق؛ أن يتعرف الإنسان على فضائل حسن الخلق، فهذا يدفعه إلى التحلي والتخلق بها، ليحظى ويفوز بثمراتها، ويحشر مع من حسنت أخلاقهم، وصفت نفوسهم، ومن فضائل حسن الخلق:

أ- أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خلقاً:

- فقد أخرج الحاكم والطبراني في "الكبير" عن أسامة بن شريك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أحبُّ عبادِ الله إلى الله أحسنهم خلقاً". (صحيح الجامع: ١٧٩) (السلسلة الصحيحة: ٤٣٣)

- وعند الإمام أحمد وابن ماجه بلفظ: "كنا جلوساً عند النبي ﷺ كأنما على رؤوسنا الطير ما يتكلم منا متكلم إذ جاءه أناس فقالوا: من أحبُّ عبادِ الله إلى الله تعالى؟ قال: "أحسنهم خلقاً". (صحيح الترغيب والترغيب: ٢٦٥٢)

ب- خير العباد عند الله أحسنهم أخلاقاً:

- أخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: "لم يكن النبي ﷺ فاحشاً^(١) ولا متفحشاً، وكان ﷺ يقول: إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً".

قال النووي -رحمه الله-: "فيه الحث على حسن الخلق، وبيان فضيلة صاحبه، وهو صفة أنبياء الله تعالى وأوليائه، قال الحسن البصري: حقيقة حسن الخلق بذل المعروف، وكف الأذى، وطلاقة الوجه. قال القاضي عياض: هو مخالطة الناس بالجميل والبشر، والتودد لهم، والإشفاق عليهم، واحتمالهم، والحلم عنهم، والصبر عليهم في المكاره، وترك الكبر والاستطالة عليهم، ومجانبة الغلظ والغضب، والمؤاخذه".

- وأخرج الإمام أحمد والبخاري في "الأدب المفرد" وابن حبان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "خيركم إسلاماً أحاسنكم أخلاقاً إذا فقهُوا". (صحيح الجامع: ٣٣١٢)

- وأخرج الإمام أحمد والبخاري وابن حبان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ألا أنبئكم بخياركم؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: خياركم أطولكم أعماراً، وأحسنكم أخلاقاً".

(صحيح الجامع: ٣٢٦٢) (قال شعيب الأرنؤوط في تخريج المسند: صحيح لغيره)

- وأخرج الحارث في "مسنده" والخرائطي في "مكارم الأخلاق" من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: "خياركم أحاسنكم أخلاقاً، الموطؤون أكنافاً، وشراركم الثرثارون، المتفهبون، المتشدقون". (صحيح الجامع: ٣٢٦٠) (السلسلة الصحيحة: ٢٨٦)

١- الفحش: زيادة الشيء على المألوف من مقداره. والمتفحش: الذي يتكأف ذلك ويتعمده؛ لفساد حاله، وقد يكون المتفحش الذي يأتي الفاحشة.

- وأخرج ابن ماجه والطبراني في الكبير والبيهقي في "شعب الإيمان" من حديث ابن عمرو-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: "خيرُ الناسِ ذو القلبِ المخموم^(١) واللسانِ الصادقِ، قيل: ما القلبُ المخموم؟ قال: هو النقيُّ النقيُّ الذي لا إثمَ فيه ولا بغيَ ولا حسدَ. قيل: فمنَ على أثره؟ قال: الذي يشنأُ الدنيا، ويحبُّ الآخرةَ. قيل: فمنَ على أثره؟ قال: مؤمنٌ في خُلُقٍ حسنٍ".

(صحيح الجامع: ٣٢٩١) (السلسلة الصحيحة: ٩٤٨)

ج- حسن الخلق من أفضل الأعمال عند الله تعالى:

- أخرج البخاري في "التاريخ الكبير" والبيهقي في "شعب الإيمان" من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "ما عملَ ابنُ آدمَ شيئاً أفضلَ من الصلاة، وصلاحِ ذاتِ البينِ، وخُلُقٍ حسنٍ".

(السلسلة الصحيحة: ١٤٤٨)

- أخرج البخاري في "التاريخ الكبير" والبيهقي في "شعب الإيمان" من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "ما عملَ شيءٌ أفضلَ من الصلاة، وصلاحِ ذاتِ البينِ، وخُلُقٍ جائزٍ بينَ المسلمِين".

(صحيح الترغيب والترهيب: ٢٨١٦)

- أخرج الإمام أحمد والطبراني من حديث عبادة بن الصامت ﷺ قال: "بينما أنا عند رسول الله ﷺ إذا جاءه رجلٌ فقال يا رسول الله! أيُّ الأعمالِ أفضلُ؟ قال: "إيمانٌ باللهِ وجهادٌ في سبيله، وحبٌّ مبرورٌ"، فلما ولَّى الرجلُ قال: "وأهونُ عليك من ذلك: إطعامُ الطَّعامِ، ولينُ الكلامِ، وحُسْنُ الخلقِ"، فلما ولَّى الرجلُ، قال: "وأهونُ عليك من ذلك: لا تتَّهمَ اللهَ على شيءٍ قضاه عليك".

(صحيح الترغيب والترهيب: ١٣٠٧)

د- حسن الخُلُقِ خيرٌ ما أُعطيَ العبدُ:

- فقد أخرج أبو داود الترمذي والنسائي في "السنن الكبرى" وابن ماجه واللفظ له من حديث أسامة بن شريك ﷺ قال: "شهدتُ الأعرابَ يسألونَ النَّبِيَّ ﷺ: أعلينا حرجٌ في كذا، أعلينا حرجٌ في كذا، فقال لهم: "عبادَ الله! وضعَ اللهُ الحرجَ إلَّا منِ اقترضَ من عرضِ أخيه شيئاً، فذاك الذي حُرِّجٌ، فقالوا: يا رسولَ الله! هل علينا جناحٌ أن لا نتداوى؟ قال: "تداؤوا عبادَ اللهِ، فإنَّ اللهَ سبحانه لم يضع داءً إلَّا وضعَ معه شفاءً؛ إلَّا ألهمَ"، قالوا: يا رسولَ الله! ما خيرٌ ما أُعطيَ العبدُ؟ قال: "خُلُقٌ حسنٌ".

(صحيح ابن ماجه: ٢٧٨٩) (صحيح الأدب المفرد: ٢٢٣) (صحيح الجامع: ٣٣٢١)

- وأخرج الطبراني في "المعجم الكبير" من حديث أسامة بن شريك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "إنَّ النَّاسَ لَمْ يُعْطَوْا شَيْئاً خَيْراً مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ". (صحيح الجامع: ١٩٧٧)

- وأخرجه ابن ماجه بلفظ: "خيرٌ ما أُعطيَ النَّاسُ خُلُقٌ حَسَنٌ". (صحيح الجامع: ٣٣٢١)

١- ذو القلبِ المخموم: أي: سَلِمَ القلبُ نَظيفه، وهو من تخميم البيتِ، أي: كُنسبه وتنظيفه، والمعنى: أن يكون قلبه نظيفاً خالياً من سيئ الأخلاق، كما جاء تفسير ذلك في تنمة الحديث.

وقوله ﷺ: " **إِنَّ النَّاسَ لَمْ يُعْطُوا** " بالبناء للمفعول " **شَيْنًا** " من الخصال الحميدة " **خَيْرًا مِنْ خُلُقٍ** " بالضم " **حَسَنٍ** " فإن حسن الخلق يرفع صاحبه إلى درجات الأخيار في هذه الدار ودار القرار. قال شيخ الإسلام: لا سبيل إلى السعادة الآخروية إلا بالإيمان وحسن الخلق فليس للإنسان إلا ما سعى وليس لأحد في الآخرة إلا ما تزود من الدنيا وأفضل زادها بعد الإيمان حسن الخلق وبحسن الخلق ينال الإنسان خير الدنيا والآخرة.

هـ- حسن الخلق دليل على كمال الإيمان:

- أخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي من حديث أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: " **أَكْمَلُ** **الْمُؤْمِنِينَ** **إِيمَانًا** **أَحْسَنُهُمْ** **خُلُقًا**، **وخيَارُكُمْ** **خيَارُكُمْ** **لنِسَائِهِمْ** ". (صحيح الترمذي: ١١٦٢) (صحيح الجامع: ١٢٣٢)

يقول ابن القيم - يرحمه الله -: " الدين كله خلق، فمن زاد عليك في الخلق، زاد عليك في الدين ". (مدارج السالكين: ٢ / ٢٩٤)

- وفي رواية: " **أَكْمَلُ** **الْمُؤْمِنِينَ** **إِيمَانًا** **أَحْسَنُهُمْ** **خُلُقًا**، **وخيَارُكُمْ** **خيَارُكُمْ** **لأَهْلِهِ** ".

وقوله ﷺ: " **أَكْمَلُ** **الْمُؤْمِنِينَ** **إِيمَانًا** "، أي: أكثرهم اتصافًا بصفات الإيمان ومن أكثرهم تزودًا من الطاعات، **"أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا"**، أي: الذي يمتثل بالخلق الحسن بين الناس جميعًا، فيحسن خلقه مع الله عز وجل بالرضا بقضاء الله وقدره، والصبر والحمد في البلاء، والشكر عند النعمة، ويكون حسن الخلق مع الناس بكف الأذى عنهم، وطلاقة الوجه، والإحسان إليهم، وبدل العطاء فيهم، مع الصبر على أذاهم؛ فكمال الإيمان يُوجب حسن الخلق، والإحسان إلى الناس كافةً. (الدر السنية)

- أخرج الطبراني في المعجم الأوسط من حديث أبي سعيد الخدري ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: " **أَكْمَلُ** **الْمُؤْمِنِينَ** **إِيمَانًا** **أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**، **المُؤَطَّوُونَ** **أَكْنَفًا**، **الَّذِينَ** **يَأْلَفُونَ** **وَيُؤْلَفُونَ**، **وَلَا** **خَيْرَ** **فِي** **مَنْ** **لَا** **يَأْلَفُ** **وَلَا** **يُؤْلَفُ** ". (صحيح الجامع: ١٢٣١)

- وفي رواية: " **أَكْمَلُ** **الْمُؤْمِنِينَ** **إِيمَانًا** **أَحْسَنُهُمْ** **أَخْلَاقًا**، **المُؤَطَّوُونَ** **أَكْنَفًا**^(١)، **الَّذِينَ** **يَأْلَفُونَ** **وَيُؤْلَفُونَ**، **وَلَيْسَ** **مِنَّا** **مَنْ** **لَا** **يَأْلَفُ** **وَلَا** **يُؤْلَفُ** ". (الصحيحة: ٧٥١).

- وأخرج الطبراني من حديث عمير بن قتادة الليثي ؓ أن رجلاً قال: يا رسول الله! أي الصلاة أفضل؟ قال: طول القنوت. قال: فأبي الصدقة أفضل؟ قال: جهد المقل. قال: أي المؤمنين أكمل إيمانًا قال: أحسنهم خُلُقًا^(٢) ".

١- المُؤَطَّوُونَ أَكْنَفًا: أي اللينون الذين لا يتأذى بهم من يصاحبهم.
٢- فيه سويد بن إبراهيم ولا بأس به في المتابعات.

- وأخرج محمد بن نصر المروزي في "تعظيم قدر الصلاة" والطبراني في الكبير من حديث ابن عمرو - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: "أفضل المؤمنين إسلامًا من سلم المسلمون من لسانه ويده، وأفضل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا؛ وأفضل المهاجرين من هجر ما نهى الله تعالى عنه، وأفضل الجهاد من جاهد نفسه في ذات الله عز وجل". (صحيح الجامع: ١١٢٩) (السلسلة الصحيحة: ١٤٩١)

- وأخرجه ابن ماجه والحاكم من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: "أفضل المؤمنين أحسنهم خلقًا". (صحيح الجامع: ١١٢٨)

و- حسن الخلق يستجلب قلوب الناس، فيكثر الأحاب، ويقل الأعداء:

قال تعالى: ﴿وَمَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٣٤) وَمَا يَلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يَلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿ (فصلت: ٣٤، ٣٥)

وأخرج البزار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق". (ضعفه بعض أهل العلم وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: ٢٦٦١)

قال الماوردي - رحمه الله -: "إذا حسنت أخلاق الإنسان كثر مصافوه، وقل معادوه، فنتسھلت عليه الأمور الصعاب، ولانت له القلوب الغضاب". (أدب الدنيا والدين ص: ٢٣٧)

قال محمد بن نصر - رحمه الله -: قال بعض أهل العلم: حُسْنُ الْخُلُقِ كَظْمُ الْغَيْظِ لِلَّهِ، وَإِظْهَارُ الطَّلَاقَةِ وَالْبَشْرِ إِلَّا لِلْمُبْتَدِعِ وَالْفَاجِرِ، وَالْعَفْوُ عَنِ الزَّالِمِينَ إِلَّا تَأْدِيبًا أَوْ إِقَامَةً لِحَدٍّ، وَكَفُّ الْأَدَى عَنِ كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُعَاهَدٍ إِلَّا تَغْيِيرًا لِمُنْكَرٍ أَوْ أَخْذًا بِمَظْلَمَةٍ لِمَظْلُومٍ مِنْ غَيْرِ تَعَدٍّ". (جامع العلوم الحكم ص: ١٦٠)

ز- حسن الخلق سبب للسلامة من الخزي:

وصفت خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها - رسول الله ﷺ عندما أخبرها بنزول الوحي... فقال ﷺ: "قَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي، فَقَالَتْ لَهُ: كَلَّا، أَبَشِّرُ، فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا؛ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ...". (والحديث بطوله عند البخاري)

قال النووي - رحمه الله - في "شرح على مسلم: ٢/٢٦٥": "قال العلماء: معنى كلام خديجة - رضي الله عنها - أنك لا يُصيبك مكروه، لما جعل الله فيك من مكارم الأخلاق، وكرم الشمائل، وذكرت ضروريًا من ذلك، وفي هذا دلالة على أن مكارم الأخلاق، وخصال الخير سبب للسلامة من مصارع السوء".

د- حسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار:

- فقد أخرج الإمام أحمد وأبو يعلى والبيهقي في " معرفة السنن والآثار " من حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: " إِنَّهُ مَنْ أُعْطِيَ حِظَّهُ مِنَ الرَّفْقِ، فَقَدْ أُعْطِيَ حِظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَصَلَةُ الرَّحْمِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَحُسْنُ الْجَوَارِ، يُعَمِّرَانِ الدِّيَارَ، وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ ".

(السلسلة الصحيحة: ٥١٩) (صحيح الجامع: ٣٧٦٧)

وقال الحكماء: " في سعة الأخلاق؛ كنوز الأرزاق ".

ط- حسن الخلق يبلغ بصاحبه درجة الصائم القائم:

- أخرج أبو داود وابن حبان عن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: " إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ ". (صحيح الجامع: ١٩٣٢) (صحيح الترغيب والترهيب: ٢٦٤٣)

- وأخرج الطبراني في " المعجم الكبير " من حديث أبي أمامة الباهلي ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: " إِنَّ الرَّجُلَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الْقَائِمِ بِاللَّيْلِ، الظَّامِئِ بِالْهَوَاجِرِ ". (صحيح الجامع: ١٦٢١)

- وأخرج الإمام أحمد وأبو داود والحاكم من حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: " إِنَّ الرَّجُلَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَاتِ قَائِمِ اللَّيْلِ، صَائِمِ النَّهَارِ ".

(الصحيحة: ٧٩٥) (صحيح الجامع: ١٦٢٠) (صحيح أبي داود: ٤٧٩٨)

- وأخرج البزار من حديث أنس ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: " إِنَّ أَكْمَلَ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَإِنَّ حُسْنَ الْخُلُقِ لَيُبَلِّغُ دَرَجَةَ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ ". (صحيح الجامع: ١٥٧٨) (الصحيحة: ١٥٩٠)

- وأخرج الطبراني والحاكم من حديث أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: " إِنَّ اللَّهَ لَيُبَلِّغُ الْعَبْدَ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ ". (صحيح الترغيب والترهيب: ٢٦٤٥)

- وأخرج الإمام أحمد والطبراني من حديث عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: " إِنَّ الْمُسْلِمَ الْمُسَدَّدَ ^(١) لَيُدْرِكُ ^(٢) دَرَجَةَ الصَّوْمِ الْقَوَامِ بِآيَاتِ اللَّهِ ^(٣)، بِحُسْنِ خُلُقِهِ وَكَرَمِ ضَرْبِيَّتِهِ ".

(صحيح الجامع: ١٩٤٩) (الصحيحة: ٥٢٢)

١- إنَّ الْمُسْلِمَ الْمُسَدَّدَ: والمراد بالمسدد المقتصد والمغتدل في أموره، أو هو الموفق الذي وفقه ربه لحسن الخلق، وطاعة الله عز وجل، وطاعة رسوله ﷺ، أو هو المستقيم على طاعة الله تعالى.

٢- لَيُدْرِكُ: أي: يبلِّغ.

٣- دَرَجَةُ الصَّوْمِ الْقَوَامِ بِآيَاتِ اللَّهِ: أي من يداوم على صوم النهار وقيام الليل بالقرآن، وذلك بحسن خلقه: هي السجدة والطبيعة. وكرم ضربيته: بفتح الضاد المعجمة؛ أي حسن طبيعته وسجيته. أي أن طبيعته كريمة وسمحة وسهلة.

ي- حسن الخلق من أعظم خصال البر:

- أخرج الإمام مسلم وأحمد من حديث النّوَّاس بن سَمْعَانَ الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ^(١)، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ". (صحيح الجامع: ٢٨٨٠)

ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ أَعْظَمَ خِصَالِ الْبِرِّ أَوْ الْبِرِّ كُلَّهُ مُجَمَّلًا هُوَ حُسْنُ الْخُلُقِ مَعَ النَّاسِ، وَيَكُونُ حُسْنُ الْخُلُقِ مَعَ النَّاسِ بِكَفِّ الْأَذَى عَنْهُمْ، وَبَذْلِ الْخَيْرِ الدِّينِيِّ وَالدُّنْيَوِيِّ لَهُمْ، وَطَلَاقَةِ الْوَجْهِ مَعَ الصَّبْرِ عَلَى أَدَائِهِمْ. ثُمَّ بَيَّنَّ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الْإِثْمَ هُوَ مَا تَرَدَّدَ وَتَحَرَّكَ وَأَثَّرَ فِي النَّفْسِ بِأَنْ لَمْ تَنْشِرْخْ لَهُ، وَحَلَّ فِي الْقَلْبِ مِنْهُ الشُّكُّ وَالْخَوْفُ مِنْ كَوْنِهِ ذَنْبًا وَأَقْلَقَهُ وَلَمْ يَطْمَئِنَّ إِلَيْهِ، وَكَرِهَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ؛ لِأَنَّهُ مَحَلُّ ذَمٍّ وَعَيْبٍ، فَتَجِدُكَ مُتَرَدِّدًا فِيهِ، وَتَكْرَهُ أَنْ يَطَّلَعَ النَّاسُ عَلَيْكَ. وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ إِنَّمَا هِيَ لِمَنْ كَانَ قَلْبُهُ صَافِيًا سَلِيمًا؛ فَهَذَا هُوَ الَّذِي يَحُوكُ فِي نَفْسِهِ مَا كَانَ إِثْمًا وَيَكْرَهُ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ، أَمَّا مَنْ فَسَدَ قَلْبُهُ وَانْتَكَسَتْ فِطْرَتُهُ، فَقَدْ يَنْشِرْخُ صَدْرُهُ لِلْإِثْمِ، وَيُجَاهِرُ بِهَا. وَالْأَصْلُ أَنَّ الْبِرَّ اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَعَانِي الطَّاعَةِ، وَالْإِثْمُ: اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ أَنْوَاعِ الْمَعَاصِي. (الدرر السنية)

ك- حسن الخلق سبب لعفو الله ومغفرته:

فَقَدْ أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ حُدَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَتَى اللَّهَ بَعْدَ مِنْ عِبَادِهِ آتَاهُ اللَّهُ مَا لَا، فَقَالَ لَهُ: مَاذَا عَمِلْتَ فِي الدُّنْيَا؟ - قَالَ: وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا - قَالَ: يَا رَبِّ آتَيْتَنِي مَالِكًا، فَكُنْتُ أَبَايَعُ النَّاسِ، وَكَانَ مِنْ خُلُقِي الْجَوَازُ، فَكُنْتُ أَتَيْسِرُ عَلَى الْمُوسِرِ، وَأُنْظِرُ الْمُعْسِرَ. فَقَالَ اللَّهُ: أَنَا أَحَقُّ بِذَا مِنْكَ؛ تَجَاوَزُوا عَنْ عَبْدِي".

قَالَ النَّوَوِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: "والتَّجَاوُزُ وَالتَّجَوُّزُ مَعْنَاهُمَا الْمَسَامِحَةُ فِي الْاِقْتِضَاءِ وَالِاسْتِيفَاءِ، وَقَبُولُ مَا فِيهِ نَقْصٌ يَسِيرٌ، وَفِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ فَضْلُ إِنْظَارِ الْمُعْسِرِ وَالْوَضْعِ عَنْهُ إِمَّا كُلَّ الدِّينِ، وَإِمَّا بَعْضَهُ مِنْ كَثِيرٍ أَوْ قَلِيلٍ، وَفَضْلُ الْمَسَامِحَةِ فِي الْاِقْتِضَاءِ وَفِي الْاِسْتِيفَاءِ، سِوَاءً اسْتَوْفِيَ مِنْ مُوسِرٍ أَوْ مُعْسِرٍ، وَفَضْلُ الْوَضْعِ مِنَ الدِّينِ، وَأَنَّهُ لَا يَحْتَقِرُ شَيْئًا مِنْ أَعْمَالِ الْخَيْرِ؛ فَلَعَلَّهُ سَبَبُ السَّعَادَةِ وَالرَّحْمَةِ".

وَأَخْرَجَ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمَحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى".

قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: "فِيهِ الْحِضُّ عَلَى السَّمَاحَةِ، وَحُسْنِ الْمَعَامَلَةِ، وَاسْتِعْمَالِ مَعَالِي الْأَخْلَاقِ وَمَكَارِمِهَا، وَتَرْكِ الْمَشَاخِصَةِ فِي الْبَيْعِ، وَذَلِكَ سَبَبٌ إِلَى وَجُودِ الْبَرَكَةِ فِيهِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا يَحِضُّ أُمَّتَهُ إِلَّا عَلَى مَا فِيهِ النَّفْعُ لَهُمْ، فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ". (فتح الباري شرح صحيح البخاري: ٦/٢١٠).

١- وفي رواية: ما حاك في نفسك، وقوله " ما حاك في صدرك: أي تحرك وتردد، ولم ينشرح له الصدر، وحصل في القلب منه الشك وخوف كونه ذنبًا.

وقال المُنَاوِي -رحمه الله-: "رَجِمَ اللهُ رَجُلًا" دعاءً أو خَبْرًا، وقرينة الاستقبالِ المستفادِ من "إذا" تجعلُهُ دعاءً. "سَمَحًا" أي جوادًا أو متساهلاً، غير مُضايقٍ في الأمور، وهذا صفةٌ مُشَبَّهَةٌ تُدُلُّ على الثُّبُوتِ؛ ولذا كَرَّرَ أحوالَ البيعِ والشُّراءِ والتَّقاضي "سَمَحًا إذا اقتضى"، أي: طلب قضاءَ حَقِّه، وهذا مسوقٌ لِلْحَثِّ على المسامحةِ في المعاملةِ، وتركِ المشاححةِ والتَّضييقِ في الطَّلَبِ، والتَّخُلُقِ بمكارمِ الأخلاقِ. وقال القاضي: رَتَّبَ الدُّعَاءَ على ذلك؛ ليدلَّ على أنَّ السُّهولةَ والتَّسامحَ سببٌ لاستحقاقِ الدُّعَاءِ، ويكونُ أهلاً لِلرَّحْمَةِ". (فيض القدير: ٤٤١/٢)

ل- حسن الخلق أثقل عبادة في الميزان يوم القيامة:

- فقد أخرج الترمذي من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق، وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة". (الترمذي: ٢٠٠٣) (صحيح الجامع: ٥٧٢٦)

- وعند الإمام أحمد بلفظ: "ليس شيء أثقل في الميزان من الخلق الحسن". (صحيح الجامع: ٥٣٩٠)

وعند أبي داود بلفظ: "ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق".

(صحيح أبي داود: ٤٧٩٩) (صحيح الجامع: ٥٧٢١)

- وأخرج الترمذي وأبو داود وأحمد من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، فإن الله تعالى يبعض الفاحش البذي". (صحيح الترمذي: ٢٠٠٢) (صحيح الجامع: ٥٦٣٢) (الصحيحة: ٨٧٦)

"ما شيء": أي لا يوجد شيء من الأعمال والأقوال أثقل في ميزان المؤمن، أي: أعظم في الثواب والأجر يكون في صحيفة العبد، ويثقل له ميزانه يوم القيامة من خلق حسن.

- وأخرج ابن حبان من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أثقل شيء في الميزان، الخلق الحسن". (صحيح الجامع: ١٣٤)

- وأخرج البيهقي في "السنن" من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أثقل شيء في ميزان المؤمن خلق حسن، إن الله تعالى يبعض الفاحش المتفحش البذي".

(صحيح الترغيب والترهيب: ٢٦٤١) (صحيح الجامع: ١٣٥)

وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا وَالطَّبْرَانِيُّ وَالْبَرَّازُ وَأَبُو يَعْلَى وَاللَّفْظُ لَهُ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: لَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَبَا ذَرٍّ فَقَالَ: "يَا أَبَا ذَرٍّ! أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى خَصْلَتَيْنِ هُمَا أَخْفُ عَلَى الظَّهْرِ وَأَثْقَلُ فِي المِيزَانِ مِنْ غَيْرِهِمَا؟ قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "عَلَيْكَ بِحُسْنِ الخُلُقِ، وَطُولِ الصَّمْتِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا تَجَمَّلَ الخَلَائِقُ بِمِثْلِهِمَا". (ضعفه بعض أهل العلم وحسنه الألباني في صحيح الجامع: ٤٠٤٨)

م- حسن الخلق سبب للبعد عن النار:

فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ، وَبِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ (١)؟ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ (٢)، هَيْنٍ (٣)، سَهْلٍ (٤)".

(صحيح الجامع: ٢٦٠٩)

قال الماوردي-رحمه الله:- "وحسن الخلق أن يكون سهل العريكة، لين الجانب، طلق الوجه، قليل النفور، طيب الكلام".

ن- حسن الخلق أكثر ما يدخل الناس الجنة:

- فقد أخرج الترمذي من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: "سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ؟ فَقَالَ: "تَقْوَى اللَّهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ"، وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، قَالَ: "الْفَمُّ، وَالْفَرْجُ".

(الصحيحة: ٩٧٧) (صحيح الترمذي: ١٦٣٠) (صحيح الترغيب والترهيب: ٢٦٤٢)

وأخرج الإمام أحمد من حديث عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمْ الْجَنَّةَ: اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا الْأَمَانَةَ إِذَا اتَّمَنْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغَضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ".

(ضعفه بعض أهل العلم وصححه الألباني في صحيح الجامع: ١٠١٨، والصحيحة: ١٤٧٠)

وشهادة الناس بالخير لمن حسن خلقه؛ سبب في دخول الجنة:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مُرَّ بَجَنَازَةٍ فَأَتْنِي عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: "وَجِبَتْ، وَجِبَتْ، وَجِبَتْ"، وَمُرَّ بَجَنَازَةٍ فَأَتْنِي عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: "وَجِبَتْ، وَجِبَتْ، وَجِبَتْ"، قَالَ عُمَرُ: فِدَى لَكَ أَبِي وَأُمِّي، مُرَّ بَجَنَازَةٍ فَأَتْنِي عَلَيْهَا خَيْرًا فَقُلْتُ: وَجِبَتْ، وَجِبَتْ، وَجِبَتْ، وَمُرَّ بَجَنَازَةٍ فَأَتْنِي عَلَيْهَا شَرًّا فَقُلْتُ: وَجِبَتْ، وَجِبَتْ، وَجِبَتْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ أَتَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ أَتَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجِبَتْ لَهُ النَّارُ؛ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ".

١- وبِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ: أي تُصْبِحُ النَّارُ مُحْرَمَةً عَلَيْهِ فَلَا يَدْخُلُهَا، هِيَ مِنْ بَابِ التَّكْيِيدِ، فَهِيَ كَالْجُمْلَةِ السَّابِقَةِ.

٢- قَرِيبٌ: أي قَرِيبٌ إِلَى النَّاسِ.

٣- هَيْنٌ: أي يَتَّصِفُ بِالسُّكُونِ وَالْوَقَارِ، وَاللَّيْنِ فِي تَصَرُّفَاتِهِ مَعَ النَّاسِ.

٤- سَهْلٌ: أي سَهْلٌ فِي الْمُعَامَلَةِ وَالْخُلُقِ، مُيسِّرٌ عَلَى النَّاسِ.

س- بيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه:

- فقد أخرج أبو داود والطبراني والبيهقي في السنن الكبرى عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أنا زعيم^(١) ببيت في ربض الجنة^(٢) لمن ترك المراء^(٣) وإن كان محققاً، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه".

(صحيح الجامع: ١٤٦٤) (الصحيحة: ٢٧٣) (صحيح أبي داود: ٤٨٠٠)

فجعل البيت العلوي جزءاً لأعلى المقامات الثلاثة، وهي حسن الخلق. والأوسط لأوسطها، وهو ترك الكذب. والأدنى لأدناها، وهو ترك المماراة وإن كان معه حق. ولا ريب أن حسن الخلق مشتمل على هذا كله.

ع- حسن الخلق سبب في القرب من الرسول صلى الله عليه وسلم يوم القيامة:

- فقد أخرج الترمذي من حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً...". (صحيح الجامع: ٢٢٠١) (الصحيحة: ٧٩١) (صحيح الترمذي: ٢٠١٨)

- وأخرج الإمام أحمد وابن حبان من حديث أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن أحبكم إلي وأقربكم مني في الآخرة محاسنكم أخلاقاً...".

- وأخرج الطبراني من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن أحبكم إلي أحاسنكم أخلاقاً، الموطؤون أكنافاً^(٤)، الذين يألفون ويؤلفون، وإن أبغضكم إلي المشاءون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الملتمسون للبراء العيب". (السلسلة الصحيحة: ٧٥١)

- أخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: "إن من أحبكم إلي أحسنكم أخلاقاً". (صحيح الجامع: ٢٢٠٠)

- وأخرج البخاري ومسلم وأحمد من حديث عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: "ألا أخبركم بأحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة؟ فأعادها مرتين أو ثلاثاً. قالوا: نعم يا رسول الله! قال: أحسنكم خلقاً". (صحيح الترغيب والترهيب: ٢٦٥٠)

- وأخرج ابن عساكر من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن أقربكم مني منزلاً يوم القيامة: أحاسنكم أخلاقاً في الدنيا". (صحيح الجامع: ١٥٧٣)

أسأل الله الكريم أن يرزقنا وأهلنا والمسلمين حسن الخلق وجمال الأدب

١- أنا زعيم: أي: ضامن وكفيل.

٢- في ربض الجنة: هو ما حولها، خارجاً عنها. أي: نواحيها وأطرافها. (النهاية لابن الأثير: ١٨٥/٢)

٣- المراء: أصله من مريت الناقة، إذا استخرجت ما في ضرعها، والمراء: هو المنازعة في القول والعمل بقصد الباطل، فإذا كان بقصد الحق فهو الجدل.

٤- الموطؤون أكنافاً: الكنف: هو جانب البهيمة، ودابة موطأة الكنف: أي يركبها صاحبها بسهولة

ويقال للفراش: هذا فراش وطني، أي عندما تنام عليه لا يؤدي جنبك، فكذلك الإنسان المؤمن عندما تميل عليه لا يؤديك أبداً، ويكون حسن الخلق.

٣- ومن علاج سوء الخلق: معرفة عواقب سوء الخلق:

سوء الخلق لا يُذكر إلا بالذكر القبيح، ويبغضه الله ورسوله ﷺ وسائر الخلق، وينفض الناس من حوله، فلا يجالسه أحد. قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران: ١٥٨)

فالمؤمن ليس فظًّا، ولا غليظًا، ولا طعًّا، ولا لعانًا، ولا فاحشًا، ولا بذيئًا، فهذا وصف سيء الأخلاق. وقد أخرج الترمذي من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلَا اللَّعَّانِ، وَلَا الْفَاحِشِ، وَلَا الْبَذِيءِ".

أ- الْفَاحِشِ الْبَذِيءِ يَبْغِضُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

مر بنا الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد أبو داود والترمذي من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلقٍ حسنٍ، فإنَّ اللهَ تعالى لِيُبْغِضَ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ". (صحيح الترمذي: ٢٠٠٢)

• وإذا أبغض الله تعالى عبداً، جعل أهل الأرض يبغضونه:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "... وَإِذَا أَبْغَضَ اللَّهُ عَبْدًا دَعَا جَبْرِيْلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أَبْغِضُ فَلَانًا فَأَبْغِضُهُ، قَالَ فَيَبْغِضُهُ جَبْرِيْلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فَلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، قَالَ: فَيَبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَعْضَاءُ فِي الْأَرْضِ".

ب- سيء الخلق من أشر الناس منزلة يوم القيامة:

فقد أخرج البخاري عن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ".

ج- سيء الخلق يبغضه الرسول ﷺ وهو من أبعد الناس منه يوم القيامة:

فقد أخرج الإمام أحمد وابن حبان من حديث أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "... وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْغَضَكُمْ مِنِّي فِي الْآخِرَةِ أَسَاوِيكُمْ أَخْلَاقًا، الثَّرَثَارُونَ، الْمُتَفِيهِقُونَ، الْمُتَشَدِّقُونَ".

- وأخرج الترمذي من حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْغَضَكُمْ مِنِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الثَّرَثَارُونَ^(١)، وَالْمُتَشَدِّقُونَ^(٢)، وَالْمُتَفِيهِقُونَ^(٣)، قالوا: يا رسول الله! قد علمنا الثَّرَثَارِينَ وَالْمُتَشَدِّقِينَ، فما الْمُتَفِيهِقُونَ؟ قال:

الْمُتَكَبِّرُونَ". (صحيح الجامع: ٢٢٠١) (السلسلة الصحيحة: ٧٩١) (صحيح سنن الترمذي: ٢٠١٨)

١- الثَّرَثَارُونَ: الَّذِينَ يُكْتَرُونَ الْكَلَامَ بِلَا فَايِدَةٍ، وَيَتَكَلَّفُونَ فِيهِ بَغِيرَ حَقِّ السَّجْعِ وَالْحَشْوِ وَغَيْرِهِ، وَيُرَدُّونَهُ كَثِيرًا.
٢- الْمُتَشَدِّقُونَ: الَّذِينَ يَتَوَسَّعُونَ فِي الْكَلَامِ، وَيَلْوَنُونَ أَسْنَنَتَهُمْ بِهِ، وَيَفْتَحُونَ بِهِ بَغِيرَ حَقِّ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: الَّذِينَ يَسْتَهْزِنُونَ بِالنَّاسِ بِلَيِّ أَشْدَاقِهِمْ، وَالشَّدَقُ هُوَ جَانِبُ الْفَمِ.
٣- الْمُتَفِيهِقُونَ: مِنَ التَّفِيهِيقِ وَهُوَ الْإِمْتِلَاءُ وَالِاتِّسَاعُ، أَي: الَّذِينَ يَتَوَسَّعُونَ فِي الْكَلَامِ وَيَفْتَحُونَ بِهِ أَفْوَاهَهُمْ وَهَذَا لِكِبْرِهِمْ وَرِعُونَتِهِمْ.

د- سوء الخلق يحبط الأعمال، ويضيع الثواب:

فقد أخرج الطبراني في المعجم الأوسط "من حديث عبد الله بن عمر-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: " **وإنَّ سُوءَ الْخُلُقِ يُفْسِدُ الْعَمَلَ، كَمَا يُفْسِدُ الْخَلَّ الْعَسَلُ** ".

(السلسلة الصحيحة: ٩٠٦) (صحيح الجامع: ١٧٦)

فسوء الخلق يفسد الأعمال الصالحة، فسادًا عظيمًا، كما يفسد العسل إذا وُضِعَ عليه الخلل، فعليك أن تتجنب سوء الخلق؛ فإنَّ سوء الخلق يحبط الأعمال، ويضيع الثواب.

وَرَوَى الْخَلَّالُ عَنِ الْفُضَيْلِ-رحمه الله- **أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ سَاءَ خُلُقُهُ سَاءَ دِينُهُ"**.

وصدق القائل حيث قال:

إِذَا رُزِقَ الْفَتَى وَجَهًا وَقَاحًا تَقَلَّبَ فِي الْأُمُورِ كَمَا يَشَاءُ

هـ- سوء الخلق سبب للإفلاس يوم القيامة، وسبيل لدخول النار:

إن أكثر ما يلقي بالناس في النار، بعدُهم عن أخلاق الأبرار، وتخلّفهم بأخلاق الفجار.

- فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " **أتدرون ما المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: إنَّ المفلس من أمتي، يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا. فيُعْطَى هذا من حسناته وهذا من حسناته. فإن فنيت حسناته، قبل أن يقضي ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحته عليه. ثمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ** ".

وقد مر بنا في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد والبخاري في "الأدب المفرد" من حديث أبي هريرة ﷺ قال: " **قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ فُلَانَةَ تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ وَتَفْعَلُ، وَتَصَدَّقُ^(١)، وَتُوذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا خَيْرَ فِيهَا، هِيَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ** ". (صحيح الأدب المفرد: ٨٨)

ومر بنا أيضًا الحديث الذي أخرجه الطبراني والخرائطي في "مكارم الأخلاق" بسند جيد عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " **أَنَّ الْعَبْدَ لِيَبْلُغَ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَاتِ الْآخِرَةِ وَشَرَفِ الْمَنَازِلِ؛ وَإِنَّهُ لَضَعِيفُ الْعِبَادَةِ^(٢)، وَإِنَّ الْعَبْدَ لِيَبْلُغَ مِنْ سُوءِ خُلُقِهِ أَسْفَلَ دَرَكِ جَهَنَّمَ؛ وَإِنَّهُ لَقَوِيُّ الْعِبَادَةِ** ".

فسوء الخلق من تزيين الشيطان، وسبب لأنغمس العبد في النيران.

يقول صاحب الإحياء-رحمه الله-: "الأخلاق الخبيثة أمراض القلوب، وأسقام النفوس، إنها أمراض نفوت على صاحبها حياة النعيم ". اه بتصرف (الإحياء: ٥٧/٣)

١- وتفعل، وتصدق: وهذا كناية عن فعلها الطاعات والعبادات.

٢- ضعيف العبادة: أي ليس كثير النوافل؛ لكنه يقوم بالفرائض ويؤدي الواجبات. فإن حسن خلقه قد يرفع درجته فوق من يكثر العبادات مع سوء الخلق. كما أن سوء الخلق سبب للهلاك ولو كان صاحبه كثير الصلاة أو الصيام.

٤- ومن علاج سوء الخلق: العمل بوصية النبي ﷺ:

فالنبي ﷺ وصى بحسن الخلق، فعلى كل مسلم ومسلمة أن يعمل بهذه الوصية.

فقد أخرج ابن حبان والطبراني والحاكم عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو-رضي الله عنهما- أَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ رضي الله عنه أَرَادَ سَفَرًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَوْصِنِي. قَالَ: "اعْبُدِ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا"، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! زِدْنِي. قَالَ: "إِذَا أَسَأْتَ فَأَحْسِنِ"، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! زِدْنِي. قَالَ: "اسْتَقِمَّ وَلْتَحَسَّنْ خُلُقَكَ".

(الصحيحة: ١٢٢٨) (صحيح الجامع: ٣١٧)

وأخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث أبي نر جندب بن جنادة وأبي عبد الرحمن معاذ بن جبل-رضي الله عنهما- عن رسول الله ﷺ قال: "اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُ مَا كُنْتَ، وَأَتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ". (صحيح الترمذي: ١٩٨٧) (صحيح الترغيب والترهيب: ٢٦٥٥) (صحيح الجامع: ٩٧)

قال ابن القيم -رحمه الله- في "كتاب الفوائد ص: ٧٥": "جمع النبي ﷺ في هذا الحديث بين تقوى الله وحسن الخلق، لأن تقوى الله تصلح ما بين العبد وبين ربه، وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه، فتقوى الله توجب له محبة الله، وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته".

وقد مر بنا في الحديث الذي أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا وَالطَّبْرَانِيُّ وَالْبَزَّازُ وَأَبُو يَعْقَى وَاللَّفْظُ لَهُ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: لَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَبَا ذَرٍّ فَقَالَ: "يَا أَبَا ذَرٍّ! أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى خَصْلَتَيْنِ هُمَا أَخْفُ عَلَى الظَّهِرِ وَأَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ غَيْرِهِمَا؟ قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "عَلَيْكَ بِحُسْنِ الخُلُقِ، وَطُولِ الصَّمْتِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا تَجَمَّلَ الخَلَائِقُ بِمِثْلِهِمَا". (ضعفه بعض أهل العلم وحسنه الألباني في صحيح الجامع: ٤٠٤٨)

وأخرج الطبراني والبيهقي بإسناد صحيح من حديث أسود بن أسرم المحاربي رضي الله عنه قَالَ: "قلت: يا رسول الله! أوصني، قال: أتملك يدك؟ قلت: فما أملك إذا لم أملك يدي، قال: أتملك لسانك؟ قال: فما أملك إذا لم أملك لساني، قال: فلا تبسُط يدك إلا إلى خير، ولا تقل بلسانك إلا معروفاً".

(صحيح الترغيب والترهيب: ٢٨٦٧)

٥- ومن علاج سوء الخلق: التواصي بحسن الخلق:

فإذا رأى الإنسان من أخيه سوء خلق فعليه أن ينكر عليه، ويوصيه بحسن الخلق، وحسن المعاملة.

عملاً بقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١٠)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "وصف الأمة بما وصف به رسولها ﷺ، وذلك لأن صلاح المعاش والمعاد إنما يكون بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ، وذلك لا يتم إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبه صارت هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس". (مجموع فتاوى ابن تيمية: ١٢٢/٢٨).

قال قتادة -رحمه الله-: "بلغنا أن عمر بن الخطاب ﷺ في حجة حجها رأى من الناس رعة^(١)، فقرأ هذه

الآية: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ...﴾، ثم قال: من سره أن

يكون من هذه الأمة، فليؤد شرط الله فيها". (تفسير ابن جرير: ١٠٢/٥)

ومن لم يتصف بذلك أشبه أهل الكتاب الذين ذمهم الله بقوله: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَعَلُوهُ﴾

(المائدة: ٧٩) (انظر تفسير ابن كثير: ٣٩٦/١)

قال الإمام القرطبي -رحمه الله-: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾: مدح لهذه الأمة - ما أقاموا

ذلك واتصفوا به-، فإذا تركوا التغيير وتواطؤوا على المنكر، زال عنهم اسم المدح، ولحقهم اسم الذم، وكان سببا لهلاكهم". (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١٧٣/٤).

• والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل للخروج من عهدة التكليف:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَدِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَسْقُونَ﴾ (١٦٤)

فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعِزِّ بَيْسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (الأعراف: ١٦٤، ١٦٥)

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب يؤدى لله؛ لنبلغ إلى الله عذرتنا، ويعلم أن قد أديننا واجبنا، ثم لعل النصح يؤثر في تلك القلوب العاصية، فيثير فيها وجدان التقوى.

قال ابن العربي -رحمه الله- في قصة أصحاب السبت: "فاستمروا على نهيبهم لهم، ولم يمنع من التمادي على الوعظ والنهي عدم قبولهم؛ لأنه فرض، قبل أم لم يقبل".

وقال القاسمي -رحمه الله-: "دلّ قوله تعالى: ﴿مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ على أن النهي عن المنكر لا يسقط ولو

علم المنكر عدم الفائدة فيه، إذ ليس من شرطه حصول الامتثال عنه، ولو لم يكن فيه إلا القيام بركن عظيم من أركان الدين والغيرة على حدود الله، والاعتذار إليه تعالى - إذ شدد في تركه - لكفاه فائدة".

٦- ومن علاج سوء الخلق: الاقتداء بمن حسنت أخلاقهم:

وعلى رأسهم الحبيب النبي ﷺ، الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه.

وإذا قرأت أخي الحبيب سِيرَ الْعُظَمَاءِ، وَتَصَفَّحْتَ تَارِيخَ النَّبَلَاءِ، فَلَنْ تَجِدَ أَعْظَمَ مِنْ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ، فَلَقَدْ كَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، فَأَحَبَّتَهُ الْقُلُوبُ، وَهَابَتْهُ النَّفُوسُ، وَاجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ الْأَفْئِدَةُ. زَكَاهُ رَبُّهُ سُبْحَانَهُ فَقَالَ:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤)

قال السعدي-رحمه الله- في تفسيره عند هذه الآية: "فكان ﷺ سهلاً ليناً، قريباً من الناس، مجيباً لدعوة من دعاه، قاضياً لحاجة من استقضاه، جابراً لقلب من سأله، لا يجرمه، ولا يرده خائباً، وإذا أراد أصحابه منه أمراً وافقهم عليه، وتابعهم فيه إذا لم يكن فيه محذور، وإن عزم على أمر لم يستبد به دونهم، بل يشاورهم ويؤامرهم، وكان يقبل من محسنهم، ويعفو عن مسيئهم، ولم يكن يعاشر جليسا له إلا أتم عشرة وأحسنها، فكان لا يعبس في وجهه، ولا يغلظ عليه في مقاله، ولا يطوي عنه بشره، ولا يمسك عليه فلتات لسانه، ولا يؤاخذ به بما يصدر منه من جفوة، بل يحسن إلي عشيره غاية الإحسان، ويحتمله غاية الاحتمال". اهـ

يقول عبد الله بن سلام ﷺ قال: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ^(١)، وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ، قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ، قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَنْتَبْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ، وَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: "أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامًا، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ". (أخرجه الترمذي).

والنبي ﷺ أكمل الناس أخلاقاً؛ فقد أدبه ربه تعالى فأحسن تأديبه.

وقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: "كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا...".

• وكان صلى الله عليه وسلم خلقه القرآن:

فقد أخرج الإمام أحمد وأبو يعلى من حديث عائشة-رضي الله عنها- أنها سئلت عن خلق رسول الله ﷺ، فقالت: كان خلقه القرآن.

قال النووي-رحمه الله-: "معناه: العمل به، والوقوف عند حدوده، والتأدب بآدابه، والاعتبار بأمثاله وقصصه، وتدبره، وحسن تلاوته". (شرح مسلم: ٣/٢٦٨).

وقال ابن رجب-رحمه الله-: "يعني أنه كان يتأدب بآدابه، ويتخلق بأخلاقه، فما مدحه القرآن كان فيه رضاه، وما ذمه القرآن كان فيه سخطه". (جامع العلوم والحكم: ١/١٤٨).

وقال المُنَافِي-رحمه الله- " في فيض القدير: ١٧٠/٥ ": "وقول عائشة-رضي الله عنها-: "كان خُلُقُه القرآن": أي ما دل عليه القرآن من أوامره، ونواهيه، ووعده ووعيده... إلى غير ذلك".

وقال القاضي-رحمه الله-: أي خلقه كان جميع ما حصل في القرآن، فإنَّ كُلَّ ما استحسنته وأثنى عليه ودعا إليه فقد تحلَّى به، وكل ما استهجنه ونهى عنه تَجَنَّبَهُ وَتَحَلَّى عَنْهُ، فكان القرآن بيان خلقه... ". اهـ

وأخرج الترمذي وأحمد عن أبي عبد الله الجدلي قال: "سألت عائشة-رضي الله عنها- عن خلق^(١) رسول الله ﷺ فقالت: لم يكن فاحشاً^(٢) ولا متفحشاً^(٣) ولا صخاباً في الأسواق^(٤)، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح^(٥)". (صحيح الترمذي: ٢٠١٦)

مواقف للنبي ﷺ تدل على سمو خلقه ﷺ:

أ- أخرج البخاري ومسلم من حديث أنس ﷺ قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه بردٌ نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي، فجبذة^(٦) بردائه جبذة شديدة، فنظرت إلى صفحة^(٧) عاتق^(٨) النبي ﷺ وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه فضحك، ثم أمر له بعتاء".

ب- وأخرج الإمام مسلم عن أنس ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقاً^(٩)، فأرسلني يوماً لحاجة، فقلت: والله لا أذهب، وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله ﷺ، فخرجت حتى أمر على صبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا رسول الله ﷺ قد قبض بقفاي من ورائي، قال: فنظرت إليه وهو يضحك، فقال: يا أنيس^(١٠)، أذهبت حيث أمرتك؟ قال: قلت: نعم، أنا أذهب يا رسول الله.

ج- وأخرج البخاري من حديث أنس ﷺ قال: كان النبي ﷺ أحسن الناس خلقاً، وكان لي أخ يقال له: أبو عمير - قال: أحسبه - فطيماً، وكان إذا جاء قال: يا أبا عمير، ما فعل النغير^(١١)؟ نغر كان يلعب به، فربما حضر الصلاة وهو في بيتنا، فيأمر بالبساط الذي تحته فيكنس ويوضح، ثم يقوم ويقوم خلفه، فيصلي بنا".

١- والخلق: ملكة تصدر بها الأفعال بسهولة من غير تنكر ولا تكلف.
٢- لم يكن فاحشاً: الفحش: الفحش، وكل سوء جاوز حده فهو فاحش، أي: لم يكن متكلماً بالقبيح أصلاً ولم يكن في طبعه.
٣- ولا متفحشاً: أي: بالتكلف، أي: لم يكن فيه الفحش؛ لا ذاتياً ولا عرضاً.
٤- ولا صخاباً في الأسواق: أي: لم يكن صياخاً يرفع صوته في الأسواق.
٥- ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح: أي: يعرض عن صاحب السيئة، بل ويعفو عنه؛ لقوله تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (المائدة: ١٣)

٦- جبذة: الجذبة.

٧- الصفحة: الجانب.

٨- العاتق: هو ما بين العنق والكتف.

٩- والخلق: هو الدين والطبع والسجية.

١٠- يا أنيس: تصغير للشفقة والمرحمة والملاطفة.

١١- النغير: تصغير النغر، وهو طائر صغير يشبه العصفور.

د- وأخرج البخاري من حديث أنس رضي الله عنه قال: **إِنْ كَانَتْ الْأُمَّةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، لَتَأْخُذَ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ** .

هـ- وأخرج البخاري من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: **جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِبُرْدَةٍ، فَقَالَ سَهْلٌ لِلْقَوْمِ: أَتَدْرُونَ مَا الْبُرْدَةُ؟ فَقَالَ الْقَوْمُ: هِيَ الشَّمْلَةُ، فَقَالَ سَهْلٌ: هِيَ شَمْلَةٌ مَنْسُوجَةٌ فِيهَا حَاشِيَتُهَا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَكْسُوكَ هَذِهِ، فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُخْتَاجًا إِلَيْهَا فَلَبَسَهَا، فَرَأَاهَا عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَحْسَنَ هَذِهِ، فَأَكْسُنِيهَا، فَقَالَ: نَعَمْ فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَمَةِ أَصْحَابِهِ، قَالُوا: مَا أَحْسَنْتَ حِينَ رَأَيْتَ النَّبِيَّ ﷺ أَخَذَهَا مُخْتَاجًا إِلَيْهَا، ثُمَّ سَأَلْتَهُ إِيَّاهَا، وَقَدْ عَرَفْتَ أَنَّهُ لَا يُسْأَلُ شَيْئًا فَيَمْنَعُهُ، فَقَالَ: رَجَوْتُ بَرَكَتَهَا حِينَ لَبَسَهَا النَّبِيُّ ﷺ، لَعَلِّي أَكْفَنُ فِيهَا.**

و- وأخرج البخاري عن الصعب بن جثامة رضي الله عنه قال: **" أَنَّهُ أَهْدَى لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِمَارًا وَخَشِيًّا، وَهُوَ بِالْأَبْوَاءِ، أَوْ بَوْدَانَ، فَرَدَّهُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَى مَا فِي وَجْهِهِ قَالَ: إِنَّا لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْكَ إِلَّا أَنَا حُرْمٌ.** ويظهر في الحديث حسن خلق النبي ﷺ وطيب معاملته لأصحابه، حيث أنه وضع العذر لامتناعه من قبول هديّة الصعب بن جثامة رضي الله عنه تطيباً لقلبه.

ز- وأخرج أبو داود وأبو يعلى والبيهقي في "شعب الإيمان" من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: **" ما رأيت رجلاً التّمّمَ أذن رسول الله ﷺ، فينحّي رأسه، حتى يكون الرجل هو الذي ينحّي رأسه، وما رأيت رجلاً أخذ بيده فترك يده، حتى يكون الرجل هو الذي يدع يده** . (صحيح أبي داود: ٤٧٩٤)

- وعند البزار بلفظ: **" أن رسول الله ﷺ لم يكن أحد يأخذ بيده فينزع يده من يده حتى يكون الرجل هو الذي يرسلها، ولم يكن أحد يكلمه إلا أقبل عليه بوجهه، حتى يفرغ من كلامه** ."

د- وأخرج البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: **" أن أعرابياً بال في المسجد، فثار إليه الناس ليقفوا به، فقال لهم رسول الله ﷺ: دَعُوهُ، وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ دُنُوبًا مِنْ مَاءٍ - أَوْ سَجَلًا مِنْ مَاءٍ - فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُبَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ** ."

• بل كان نبيل أخلاقه حتى مع أعدائه:

أ- فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: **أَنَّ الْيَهُودَ أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالُوا: السَّامُ^(١) عَلَيْكَ، قَالَ: وَعَلَيْكُمْ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: السَّامُ عَلَيْكُمْ، وَلَعَنَكُمُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْكُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَهَلًا يَا عَائِشَةُ، عَلَيْكَ بِالرَّفْقِ، وَإِيَّاكَ وَالْغُفَّ، أَوْ الْفُحْشَ، قَالَتْ: أَوْلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟! قَالَ: أَوْلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ؟ رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ، فَيَسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ، وَلَا يَسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ** ."

- وفي رواية: جاء أناس من اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا: السَّامُ عليك يا أبا القاسم. فقلت: السَّامُ عليكم، وفعل الله بكم وفعل. فقال ﷺ: مه يا عائشة، فإن الله لا يحبُّ الفحش ولا التفحش. فقلت: يا رسول الله، ألسنت ترى ما يقولون؟! فقال: ألسنت ترى ما يقولون، أقول: وعليكم .

ب- وأخرج البخاري ومسلم عن ابن مسعود ؓ قال: " كَأَنِّي أَنْظِرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ - صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِمْ - ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدَمَوْهُ، وَهُوَ يَمَسُحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ، وَيَقُولُ: "اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ" .

فعلينا أن نقتدي بأخلاق الحبيب النبي ﷺ فهو قدوتنا وأسوتنا، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (سورة الأحزاب: ٢١)

وهذه أمثلة ونماذج ممن حسنت أخلاقهم من السلف الصالح:

وَعَلَى نَهْجِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ سَارَ أَصْحَابُهُ وَخُلَفَاؤُهُ مِنْ بَعْدِهِ، فَكَانُوا نِعَمَ النَّاسِ فِي حُسْنِ التَّعَامُلِ وَسُمُوِّ الْخُلُقِ، كَانَ أَبُو بَكْرٍ ؓ يَحْلُبُ لِلضُّعْفَاءِ أَغْنَامَهُمْ كَرَمًا مِنْهُ وَرِفْقًا بِهِمْ، فَلَمَّا تَوَلَّى الْخِلَافَةَ سَمِعَ جَارِيَةً تَقُولُ: " الْيَوْمَ لَا يَحْلُبُ لَنَا " فَقَالَ: " بَلَى لِعَمْرِي لِأَحْلُبْتُهَا لَكُمْ ". (التبصرة لابن الجوزي) وَهُوَ الَّذِي يَمْشِي عَلَى قَدَمَيْهِ مَعَ جَيْشِ أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- وَأَسَامَةُ رَاكِبٌ، فَقَالَ أَسَامَةُ: يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ! لَتَرْكَبَنَّ أَوْ لِأَنْزِلَنَّ، فَقَالَ: " وَاللَّهِ لَا تَنْزِلُ، وَاللَّهِ لَا أَرْكَبُ، وَمَا عَلَيَّ أَنْ أُغْبَرَ قَدَمَيَّ سَاعَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ " .

عمر بن الخطاب-رضي الله عنه:-

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُدَيْفَةَ فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحُرِّ بْنِ قَيْسٍ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ، وَكَانَ الْفُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ، كُهُولًا كَانُوا أَوْ شَبَابًا، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي، هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الْأَمِيرِ؟ فَاسْتَأْذِنَ لِي عَلَيْهِ، قَالَ: سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَاسْتَأْذِنَ الْحُرُّ لِعُيَيْنَةَ، فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: هِيَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ! فَوَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزَلَ وَلَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ، فَعُضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٩٩)، وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ، وَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ.

أبو الدرداء-رضي الله عنه:-

وَأَسْمَعُ رَجُلًا أبا الدرداء ؓ كلاما فقال: يا هذا لا تغرق في سبنا ودع للصالح موضعا، فإننا لا نكافئ من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه .

عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما :-

سب رجل ابن عباس - رضي الله عنهما - فلما فرغ قال: يا عكرمة! هل للرجل حاجة فنفضيها؟ فنكس الرجل رأسه واستحي ". (المستطرف: ٢٠١)

أبو هريرة - رضي الله عنه :-

سب رجل أبا هريرة، فلما انتهى قال له أبو هريرة ﷺ: انتهيت، قال الرجل: نعم، وإن أردت أن أزيدك زدتك، فقال أبو هريرة: يا جارية انتني.... فسكن الرجل وقال في نفسه بماذا سيأمرها؟ فقال: أبو هريرة انتني بوضوء، فتوضأ أبو هريرة وتوجه إلى القبلة فقال: اللهم إن عبدك هذا سبني وقال عني ما لم أعلمه من نفسي. اللهم إن كان عبدك هذا صادقاً فيما قال عني، اللهم فاغفر لي. اللهم إن كان عبدك هذا كاذباً فيما قال عني، اللهم فاغفر له. فانكب الرجل على رأس أبي هريرة ﷺ يقبلها.

عُلبه بن زيد بن حارثة الأنصاري الأوسي - رضي الله عنه :-

أخرج أبو نعيم في " معرفة الصحابة " عن أبي عبيد عبد الرحمن بن جبر قال: " كان عُلبه بن زيد الحارثي رجلاً من أصحاب النبي ﷺ لما حضَّ النبي ﷺ الناس على الصدقة قال عُلبه: اللهم إنه ليس عندي ما أتصدقُ به إلا وِسادةٌ حشوها ليفٌ ودلوٌ أستقي به، اللهم إني أتصدقُ بعرضي على من ناله من خلفك، فأمر النبي ﷺ منادياً فنادى: أين المتصدقُ بعرضه البارحة؟ فقام عُلبه بن زيد فقال رسولُ الله ﷺ: " إنَّ اللهَ قد قبِلَ صدقتك ".

عمر بن عبد العزيز - رحمه الله :-

أسمعَ رجلٌ عمر بن عبد العزيز كلاماً يكرمه، فقال عمر بن عبد العزيز - رحمه الله -: أردت أن يستفزني الشيطان لعزة السلطان، فأنا منك اليوم ما تناله مني غداً (يوم القيامة) انصرف - رحمه الله -.

ودخل عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - المسجد في ليلة مظلمة، فمر برجل نائم فعثر به فرفع الرجل رأسه وقال: أمجنون أنت؟ (وما علم أنه أمير المؤمنين) فقال عمر: لا، فهمّ به الحرس، فقال عمر: مه إنما سألتني أمجنون؟ فقلت: لا.

الفضيل بن عياض - رحمه الله :-

كان الفضيل بن عياض - رحمه الله - إذا قيل له: إن فلانا يقع في عرضك؛ يقول: والله لأغيطان من أمره - يعني إبليس -، ثم يقول: اللهم إن كان صادقاً فاغفر لي، وإن كان كاذباً فاغفر له ".

زين العابدين علي بن الحسين - رضي الله عنهما :-

يُذَكَّرُ أَنْ جَارِيَةً لَهُ جَعَلَتْ تَسْكِبُ عَلَيْهِ الْمَاءَ فَتَهَيَّأُ لِلصَّلَاةِ فَسَقَطَ الْإِبْرِيْقُ مِنْ يَدِ الْجَارِيَةِ عَلَى وَجْهِهِ فَشَجَّهَهُ، فَرَفَعَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ رَأْسَهُ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ الْجَارِيَةُ: إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَقُولُ: ﴿وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ﴾ فَقَالَ لَهَا: قَدْ كَظَمْتَ غَيْظِي، قَالَتْ: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ فَقَالَ لَهَا: قَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ، قَالَتْ: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٤): قال: اذهبي فأنت حرة ". (البيهقي في الشعب ٨٣١٧)

وَلَقِيَهِ رَجُلٌ مَرَّةً فِي الطَّرِيقِ فَسَبَّهُ، فَتَارَتْ إِلَيْهِ الْعَبِيدُ فَقَالَ: مَهَلًا، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الرَّجُلِ فَقَالَ: مَا سَتَرَ عَنْكَ مِنْ أَمْرِنَا أَكْثَرَ. أَلَيْكَ حَاجَةٌ نَعِينُكَ عَلَيْهَا، فَاسْتَحْيَا الرَّجُلَ، فَأَلْقَى عَلَيْهِ خَمِيصَةً كَانَتْ عَلَيْهِ، وَأَمَرَ لَهُ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ، فَكَانَ الرَّجُلُ بَعْدَ ذَلِكَ يَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّكَ مِنْ أَوْلَادِ الرَّسُولِ ﷺ، وَصَدَقَ رَبُّنَا حَيْثُ قَالَ: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت: ٣٤)

إبراهيم بن أدهم - رحمه الله :-

خَرَجَ يَوْمًا يَمْشِي فَمَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ وَكَانَ مَعَهُ كَلْبٌ فَأَرَادَ الرَّجُلُ أَنْ يُغَضِبَ إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ الرَّجُلُ لِإِبْرَاهِيمَ، يَا إِبْرَاهِيمَ: لِحَيْتِكَ هَذِهِ أَطَهَرَ مِنْ ذَنْبِ كَلْبِي أَمْ ذَنْبِ كَلْبِي أَطَهَرَ مِنْ لِحَيْتِكَ؟ فَإِذَا إِبْرَاهِيمَ يَقُولُ: إِنْ كُنْتُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَإِنَّ لِحَيْتِي أَطَهَرَ مِنْ كَلْبِكَ، وَإِنْ كُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَذَنْبُ كَلْبِكَ أَفْضَلُ مِنْ لِحَيْتِي، فَقَالَ الرَّجُلُ: هَذِهِ أَخْلَاقُ النَّبُوَّةِ، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ.

وَقَدْ خَرَجَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدَهْمٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ- مَرَّةً إِلَى بَعْضِ الْبَرَارِيِّ، فَاسْتَقْبَلَهُ رَجُلٌ جَنْدِيٌّ، فَقَالَ: أَنْتَ عَبْدٌ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَقَالَ لَهُ: أَيْنَ الْعِمْرَانُ؟ فَأَشَارَ إِلَى الْمَقْبَرَةِ، فَقَالَ الْجَنْدِيُّ: إِنَّمَا أَرَدْتُ الْعِمْرَانَ!! فَقَالَ: هُوَ الْمَقْبَرَةُ. فغَاظَهُ ذَلِكَ فَضْرَبَ رَأْسَهُ بِالسُّوْطِ فَشَجَّهُ، وَرَدَّهُ إِلَى الْبَلَدِ فَاسْتَقْبَلَهُ أَصْحَابُهُ، فَقَالُوا: مَا الْخَيْرُ؟ فَأَخْبَرَهُمُ الْجَنْدِيُّ مَا قَالَ لَهُ، فَقَالُوا: هَذَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدَهْمٍ!! فَنَزَلَ الْجَنْدِيُّ عَنْ فَرَسِهِ وَقَبَلَ يَدَيْهِ وَرَجْلَيْهِ، وَجَعَلَ يَعْتَذِرُ إِلَيْهِ، فَقِيلَ بَعْدَ ذَلِكَ لَهُ: لِمَ قُلْتَ لَهُ: أَنَا عَبْدٌ؟ فَقَالَ: إِنَّهُ لَمْ يَسْأَلْنِي: عَبْدٌ مِنْ أَنْتَ، بَلْ قَالَ: أَنْتَ عَبْدٌ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ؛ لِأَنِّي عَبْدُ اللَّهِ، فَلَمَّا ضْرَبَ رَأْسِي سَأَلْتُ اللَّهَ لَهُ الْجَنَّةَ. فَقِيلَ: كَيْفَ وَقَدْ ظَلَمْتُكَ؟ فَقَالَ: عَلِمْتُ أَنَّي أُوجَرُ عَلَى مَا نَالَنِي مِنْهُ، فَلَمْ أُرِدْ أَنْ يَكُونَ نَصِيْبِي مِنْهُ الْخَيْرُ وَنَصِيْبُهُ مِنِّي الشَّرُّ ". (الإحياء: ٧٦/٣)

الأحنف بن قيس - رحمه الله :-

وَشْتَمَ رَجُلٌ الْأَحْنَفَ بْنَ قَيْسٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ- وَجَعَلَ يَتَّبِعُهُ حَتَّى بَلَغَ حَيْهَ، فَقَالَ الْأَحْنَفُ: " يَا هَذَا، إِنْ كَانَ بَقِيَ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ فَهَاتِهِ وَانصرف؛ لَا يَسْمَعُكَ بَعْضُ سَفَهَائِنَا فَتَلْقَى مَا تَكْرَهُ ".

بكر بن عبد الله المزني-رحمه الله:-

شتم رجل بكر بن عبد الله المزني -رحمه الله-، وبالغ في شتمه وهو ساكت، فقيل له: ألا تشتمه كما شتمك؟! فقال: إني لا أعرف له شيئاً من المساوي حتى أشتمه به، ولا يحل لي أن أرميه بالكذب ."

ثور بن يزيد-رحمه الله:-

قال رجل لثور بن يزيد -رحمه الله-: يا قدرى، يا رافضى. فقال له: إن كنت كما قلت لي، فأنا رجلُ سوءٍ، وإن كنتُ على خلاف ذلك فأنت في حلٍّ مني ."

محمد بن واسع يحسن إلى شاةٍ صحبته:

كان محمد بن واسع يقول: لا يبلغ العبد مقام الإحسان حتى يُحسن إلى كلِّ من صحبَه ولو ساعة. وكان إذا باع شاة يوصي بها المشتري ويقول: قد كان لها معنا صُحبةٌ . (تنبيه المغترين ص: ٣١)

الربيع بن خثيم -رحمه الله- يدعو لسارقه:

اشترى الربيع بن خثيم -رحمه الله- فرساً بثلاثين ألفاً فغزا عليها، ثم أرسل غلامه "يسار" يحتش، وقام يصلي، وربط فرسه، فجاء الغلام فقال: يا ربيع أين فرسك؟ قال: سُرقت يا يسار. قال: وأنت تنظر إليها؟! قال: نعم يا يسار؛ إني كنتُ أناجي ربي عز وجل فلم يشغلني عن مناجاة ربي شيء، اللهم إنه سرقني ولم أكن لأسرقه، اللهم إن كان غنياً فاهده، وإن كان فقيراً فأغنه -ثلاث مرات- ."

(الزهد لابن حنبل ص: ٢٣١)

هذه نفوس قد دُلَّت بالمجاهدة، فاعتدلت وطابت أخلاقها، ونُقِّيت من الغش والغل بواطنها، فأثمرت الأطايب من أقوالهم وأفعالهم الظاهرة. فعليكم أحبتي في الله أن تتشبهوا بأخلاق هؤلاء الكرام، يُكْتَبْ لَكُمْ حُسْنُ الْخِتَامِ، وَيَبْقَ ذِكْرُكُمْ بَيْنَ الْأَتَامِ، لَا يُنْسَى بَدَهَابِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ.

٧- ومن علاج سوء الخلق: مصاحبة الأخيار، والبعد عن مصاحبة الأشرار:

فالساحب مرآة تدل عليك، وقد قيل: قل لى من تصاحب؟ أقل لك: من أنت.
فالساحب ساحب، فمصاحبة الأخيار تجعل الإنسان يستقيم على طاعة الرحمن ويسعد في الدنيا والآخرة، لأن الساحب الصالح يذكرك بالله إذا نسيت، ويأخذ بيدك إذا وقعت، ولذلك كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: **ما أعطي عبد بعد الإسلام خير من أخ صالح** . (إتحاف السادة المتقين ص: ١٣١)
فعلى الإنسان منا أن يبحث عن أهل الصلاح ويلزمهم، لأن المرء على دين خليله كما أخبر بذلك الحبيب النبي ﷺ.

فقد أخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل** . (صحيح أبي داود: ٤٨٣٣) (صحيح الجامع: ٣٥٤٥).
فبين النبي ﷺ أن المرء مُشاكل ومماثل لخليله وجليسه في الاستقامة والصلاح وعدمها.

فعليك أولاً إذا أردت أن تستقيم وتحسن خلقك؛ أن تهجر رفقة السوء، وتصاحب الأخيار الأطهار.
وهذا أول ما يجب عليك فعله، وهذه وصية العالم لمن قتل مائة نفس وأراد أن يتوب، فأرشده أن يترك أرض السوء التي كان بها، ويبدأ عهداً جديداً مع الله- عز وجل-.

والحديث في صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةَ تِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَهْلِ الْأَرْضِ فُذِّلَ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةَ تِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِئَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَهْلِ الْأَرْضِ فُذِّلَ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِئَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضٍ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أَنْاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضٌ سَوْءٌ....** الحديث.

قال الفضيل بن عياض-رحمه الله-: " لا تخالط سيئ الخلق فإنه لا يدعو إلا إلى شرّ "

وانظر لهذا الحديث بعين الاعتبار لتعلم أن مصاحبة سيئ الأخلاق وبال، ومفارقته نجاة.

فقد أخرج الطبري في " تفسيره" والطحاوي في " شرح مشكل الآثار" والحاكم واللفظ له من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **" ثلاثة يدعون الله فلا يستجاب لهم: رجلٌ كانت تحته امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها، ورجلٌ كان له على رجلٍ مالٌ فلم يشهد عليه، ورجلٌ آتى سفيهاً ماله وقد قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُم﴾ "** . (السلسلة الصحيحة: ١٨٠٥)

فمن ضمن هؤلاء الثلاثة المذكورين الذين لا يستجاب لهم: رجل كان متزوجاً من امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها، فإذا دعا عليها فلا يستجاب له، لأنه كان قادراً على طلاقها بعد أن لم يصلح حالها ولم ترجع عن أخلاقها السيئة، فلما رضي بسوء أخلاقها فلا يستجاب له إذا دعا عليها بعد ذلك.

قال المناوي-رحمه الله- في شرح الحديث السابق: "ثلاثة يدعون الله عز وجل فلا يستجاب لهم: رجل كانت تحته امرأة سيئة الخلق- بالضم- فلم يطلقها، فإذا دعا عليها لا يستجيب له لأنه المعذب نفسه بمعاشرتها وهو في سعة من فراقها". اهـ

فعلى المرء أن يفارق أصحاب السوء، لأن الجلساء والأصدقاء يؤثر بعضهم علي بعض وهذا ما يؤكد النبي ﷺ.

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري ؓ أن النبي ﷺ قال: **"إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ، وَجَلِيسِ السُّوءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ، وَنَافِخِ الْكَيْرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ، إِمَّا أَنْ يَخْذِيكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكَيْرِ، إِمَّا أَنْ يَحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً."**

فنافخ الكير هذا إما أن يحرق بدنك أو ثيابك من شره المتطاير، أو تجد من مجالسته ريحاً خبيثةً، فيجلب لك كزباً وضيقاً، وتشم منه ما يؤذيك، وهكذا الجليس السوء إما أن تطالك شرور أفعاله، فتشاركه أوزاره، وتحترق بناورها، وإما أن ترى القبيح وسوء الفعل أمامك، فتندم لمصاحبة ومجالسة من هذا حاله.

قال النووي-رحمه الله- تعليقا على هذا الحديث: "في هذا الحديث: فضيلة مجالسة الصالحين وأهل الخير والمروءة ومكارم الأخلاق والورع والعلم والأدب، والنهي عن مجالسة أهل الشر وأهل البدع ومن يغباب الناس أو يكثر فجره".

وقال الحافظ ابن حجر-رحمه الله- كما في "فتح الباري: ٤/٣٢٤": "وفي الحديث: النهي عن مجالسة من يتأذى بمجالسته في الدين والدنيا، والترغيب في مجالسة من ينتفع بمجالسته في الدين والدنيا".

وقال السعدي-رحمه الله:- "مثل النبي ﷺ بهذين المثالين مبيِّناً أن الجليس الصالح مغنم لك وخير في جميع أحوالك كحامل المسك الذي تنتفع بما معه من المسك، فأنت تجلس معه قرير النفس برائحة المسك، فالخير الذي يصيبه العبد من جلسه الصالح أبلغ وأفضل من المسك الأذفر، فإنه إما يعلمك ما ينفعك في دينك ودنياك، أو يهدي لك نصيحة، ويدعوك إلى مكارم الأخلاق ومحاسنها.

فإن الإنسان مجبول على الاقتداء بصاحبه وجليسه، والطباع والأرواح جنود مجندة يقود بعضها بعضاً إلى الخير أو ضده.

فالساحب مرآة تدل عليك، وقد قيل: قل لي من تصاحب؟ أقل لك: من أنت.

قال سفیان بن عیینة-رحمه الله-: " انظروا إلى فرعون معه هامان، وانظروا إلى الحجاج معه يزيد بن أبي مسلم شر منه، وانظروا إلى سليمان بن عبد الملك صحبه رجاء بن حيوة فقومه وسدده ".

- وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ؓ أن النبي ﷺ قال: " الأزواج جنودٌ مُجَنَّدَةٌ، فما تعرّف منها انتلّف، وما تناكر منها اختلّف ".

قال ابن مسعود ؓ: " ما من شيء أدل على شيء ولا الدخان على النار من الصاحب على الصاحب".

وقال الإمام مالك-رحمه الله-: الناس أشكال كأشكال الطير؛ الحمام مع الحمام، والغراب مع الغراب، والبط مع البط، وكل إنسان مع شكله.

وقال الأوزاعي -رحمه الله-: " الصاحب للصاحب كالرقعة للثوب، إذا لم تكن مثله شانتة ".

قال علي ؓ:

فلا تصحبَ أخا الجهلِ	وإيّاك وإيّاها
فكم من جاهلٍ أزدى	حليماً حين آخاه
يقاسُ المرءُ بالمرءِ	إذا ما المرءُ ماشاه
وللشيء على الشيءِ	مقاييس وأشباهُ
وللقلبِ على القلبِ	دليلٌ حين يلقاهُ

وقال عدى بن زيد-رحمه الله-:

عن المرء لا تسأل وسلّ عن قرينه	فكل قرين بالمُقارن يقتدي
إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم	ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي

وقال آخر:

أنت في الناس تقاس	بالذي اخترت خليلا
فصاحب الأخيار تعلو	وتتل ذكراً جميلا

فاحذر أخي الحبيب من مصاحبة الأشرار وعليك بمصاحبة الأخيار، فالصاحب الصالح لا يفشي لك سرّاً، ولا يهتك لك عرضاً، وينشر حسناتك ويطوي سيئاتك، ويستر عيبك ويحوطك من خلفك، وإذا سألته أعطاك، وإذا نزلت بك مصيبة واسباك، ويدلك على الخير ويشير عليك بالصلاح، ويذكرك إذا نسيت ويأخذ بيدك إذا وقعت وذللت، ويعودك إذا مرضت، ويمشي في جنازتك إذا متّ، ويدعو لك بعد موتك ولا ينسأك.

٨- ومن علاج سوء الخلق: تعهد اللسان فلا ينطق إلا بما يرضي الرحمن:

فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت".

وأخرج البخاري في "الأدب المفرد" وأحمد والطبراني في "الكبير" والبيهقي في "السنن الكبرى" وابن حبان عن عياض بن حمار رضي الله عنه قال: يا نبي الله! الرجل من قومي يشتمني وهو دوني أفأنتقم منه؟ فقال النبي ﷺ: "المستبان شيطانان يتهاوران ويتكاذبان". (صحيح ابن حبان: ٥٧٢٦)

- وفي رواية: "إنم المستبين ما قال على البادي منهما ما لم يعتد المظلوم والمستبان شيطانان يتكاذبان ويتهاوران".

وقد مر بنا قول الأحنف بن قيس -رحمه الله-: "ألا أخبركم بأدوأ الداء؟ قالوا: بلى. قال: الخلق الدنيء، واللسان البذي". (المصدر السابق)

فكل من ساءت أخلاقهم فإنهم يطلقون هذا اللسان ويرخون له العنان؛ ومع أن هذا اللسان لا تعب في إطلاقه، ولا مؤونة في تحريكه، إلا أن كل حرف منه مسطر مكتوب. قال تعالى: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾

(آل عمران: ١٨١)

وقال تعالى: ﴿وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (الكهف: ٤٩)

وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (الانفطار: ١٠-١٢)

وقال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ (الزخرف: ٨٠)

وقال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق: ١٨)

معنى ﴿رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾: يعنى مراقب معد لذلك، لا يترك كلمة تقلت.

وتلا الحسن البصري -رحمه الله- الآية السابقة: ﴿عَنْ اليمينِ وَعَنْ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ

عَتِيدٌ ﴿ق: ١٧، ١٨﴾، فقال: "يا ابن آدم بسطت لك صحيفة، ووكل بك ملكان كريمان، أحدهما عن يمينك

فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن يسارك فيحفظ سيئاتك، فاعمل ما شئت، أقلل أو أكثر، حتى إذا مت طويت صحيفتك، وجعلت في عنقك معك في قبرك حتى تخرج يوم القيامة"، فعند ذلك يقول تعالى:

﴿وَكُلِّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ (١٣) اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً

(الإسراء: ١٤، ١٣) ثم قال: "عدل والله فيك من جعلك حسيب نفسك".

ومما يغيب على كثير منا أن يدخل الناس النار: حصائد اللسان:

فقد أخرج الترمذي في حديث له طويل عن حديث معاذ رضي الله عنه قال: "قلت: يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار؟ قال: لقد سألت عن عظيم، وإنه يسير على من يسره الله تعالى عليه... الحديث.. وفيه: ألا أخبرك بملاك ذلك كله^(١)، قلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسانه، وقال: "كف عليك هذا"، فقلت: يا رسول الله، وأنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: **تَكَلَّتْكَ أُمَّكَ^(٢)**، وهل يكبُّ الناس في النار على وجوههم - أو قال: على مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم؟".

- ورواه الطبراني مختصراً وفيه: "قلت: يا رسول الله! أكل ما نتكلم به يكبب علينا؟! قال: **تَكَلَّتْكَ أُمَّكَ**، وهل يكبُّ الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم، إنك لن تزال سالماً ما سكتت، فإذا تكلمت **كُتِبَ عَلَيْكَ أَوْ لَكَ**".

يقول المباركفوري -رحمه الله- في "تحفة الأحوزي: ٣٠٥/٧": "وفي قول النبي ﷺ: "حصائد ألسنتهم" أي: محسوداتها، شبه ما يتكلم به الإنسان بالزرع المحسود بالمنجل، وهو من بلاغة النبوة، فكما أن المنجل يقطع ولا يميز بين الرطب واليابس، والجيد والرديء، فكذلك لسان بعض الناس، يتكلم بكل نوع من الكلام حسناً وقبيحاً". اهـ

وقال الحافظ ابن رجب -رحمه الله- معقفاً على قول النبي ﷺ: "ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قلت: بلى، فأخذ بلسانه، فقال: **كف عليك هذا**". وهذا يدل على أن كف اللسان وضبطه وحبسه هو أصل الخير كله، وأن من ملك لسانه، فقد ملك أمره، وأحكمه وضبطه". اهـ (جامع العلوم والحكم: ١٤٦/٢)

وأخرج الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: "سئل النبي ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ قال: تقوى الله، وحسن الخلق، وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار؟ فقال: **الأجوفان: الفم والفرج**". (حسنه الألباني في صحيح الترمذي)

وقد أخرج البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "... وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يلقي لها بالاً^(٣)، يهوي بها في جهنم".
- وفي رواية: "لا يرى بها بأساً؛ فيهوي بها في نار جهنم سبعين خريفاً".
- وفي رواية: "إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها^(٤)؛ يهوي بها في النار، أبعد ما بين المشرق والمغرب".

١- ملاك الشيء: قوامه، ونظامه، وما يُعتمد عليه فيه.

٢- تكلتلك أمك: فقدتك، من الألفاظ التي جرت على ألسنة العرب ولا يقصدون بها الدعاء، كقولهم: "تربت يدك، أو لا أبالك، أو قاتلك الله... وهكذا".

٣- لا يلقي لها بالاً: أي لا يتأملها بخاطره، ولا يتفكر في عاقبتها، ولا يظن أنها تؤثر شيئاً، وهي من نحو قوله تعالى: ﴿وَتَحْسِبُونَهُ هيناً وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾

(النور: ١٥) (فتح الباري: ٣١١/١١)

٤- ما يتبين فيها: يعني يتفكر أنها خير أم لا. (أفاده النووي -رحمه الله-)، وقال الحافظ في "الفتح: ٣١٧/١١): أي لا يُثبتها بفكره ولا يتأملها. اهـ
و "ما" الأولى نافية، و "ما" الثانية موصولة أو موصوفة. قال ابن عبد البر -رحمه الله-: "الكلمة التي يهوي صاحبها بسببها في النار هي التي يقولها عن سلطان بن جابر... زاد ابن بطال: بالبغي أو بالسعي على المسلم، فتكون سبباً لهلاكه، وإن لم يرد القائل ذلك، وقيل: "هي الكلمة عند ذي السلطان يرضيه بها بسخط الله، قال ابن التين: "هذا هو الغالب، وربما كانت عند غير ذي السلطان ممن يتأتى منه ذلك، ونقل عن ابن وهب: "أن المراد بها التلطف بالسوء والفحش، وقال القاضي عياض: "يحتمل أن تكون تلك الكلمة من الخنا والرفث، وأن تكون في التعريض بالمسلم بكبيرة أو بمجون، أو استخفاف بحق النبوة والشريعة وإن لم يعتقد ذلك".
اهـ (بتصرف من فتح الباري: ٣١١/١١)

وفي الحديث السابق يتبين من خلاله: أنه على الإنسان أن يتفكر في الكلمة قبل أن يتلفظ بها.

قال النووي-رحمه الله- كما في " كتابه الأذكار": " في هذا الحديث حث على حفظ اللسان، فينبغي لمن أراد أن ينطق أن يتدبر ما يقول قبل أن ينطق، فإن ظهرت فيه مصلحة تكلم، وإلا أمسك عنه؛ لأنه قد ينجز الكلام المباح إلى حرام أو مكروه، وذلك كثير في العادة، والسلامة لا يعدلها شيء ". اهـ بتصريف

وعند الإمام أحمد من حديث علقمة عن أبي عبد الرحمن بلال بن الحارث المزني **قال: قال رسول الله ﷺ: " وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله، ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت؛ يكتب الله ﷻ له بها سُخْطَهُ إلى يوم يلقاه "**. (صحيح الجامع: ١٦١٩) (الصحيحة: ٨٨٨)

وكان علقمة يقول: " كم من كلام قد منعه حديث بلال بن الحارث ".

لذا كان النبي ﷺ يقول كما عند الترمذي: " وأعوذ بك من شر لساني ".

(صححه الألباني في صحيح الترمذي: ٢٧٧٥)

أحبتني في الله... من المعلوم أنه متى استقام القلب، استقامت الجوارح كلها على طاعة الله، لأن القلب هو الملك، والأعضاء جنوده، فمتى استقام الملك استقامت جنوده ورعاياه، وأعظم ما يُراعى استقامته بعد القلب من الجوارح: هو اللسان فإنه تُرْجَمَانُ^(١) القلب والمعبر عنه.

(انظر جامع العلوم والحكم لابن رجب ص: ١٩٣)

• ولا يستقيم قلب العبد حتى يستقيم لسانه.

كما دل على ذلك الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد من حديث أنس بن مالك **قال: قال رسول الله ﷺ: " لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه، ولا يدخل الجنة رجل لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقِهِ "**^(٢). (صحيح الترغيب والترهيب: ٢٥٥٤)

• فإذا استقام اللسان استقامت الجوارح:

ودليل ذلك ما أخرجه الإمام أحمد والترمذي واللفظ له من حديث أبي سعيد الخدري **قال: قال رسول الله ﷺ: " إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان^(٣) فتقول اتق الله فينا فإنما نحن بك فإن استقمنا استقمنا وإن اعوججت اعوججتنا "**. (صحيح الترمذي: ٢٤٠٧) (صحيح الجامع: ٣٥١)

١- ترجمان: بفتح التاء وضمها وهو المعبر عن لسان بلسان آخر.

٢- في إسناد هذا الحديث علي بن مسعدة، قال عنه الحافظ ابن حجر في التقريب: صدوق له أوهام، لكن صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: ٢٥٥٤).

٣- تكفر اللسان: أي تدل وتخضع لأمره، وقيل: معنى " تكفر اللسان"، أي: تُنزل الأعضاء اللسان منزلة الكافر بالنعم.

• ولذلك كان من وصايا الرسول ﷺ حفظ اللسان:

فقد أخرج الطبراني والبيهقي بإسناد صحيح من حديث أسود بن أصرم المحاربي رضي الله عنه قال: "قلت: يا رسول الله، أوصني، قال: أتملك يدك؟ قلت: فما أملك إذا لم أملك يدي، قال: أتملك لسانك؟ قال: فما أملك إذا لم أملك لساني، قال: فلا تبسُط يدك إلا إلى خير، ولا تقل بلسانك إلا معروفًا."

وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب "الصمت" من حديث معاذ رضي الله عنه أنه قال: "يا رسول الله! أوصني، قال: عبد الله كأنك تراه، واعدد نفسك في الموتى، وإن شئت أنبأتك بما هو أملك بك من هذا كله، قال: "هذا"، وأشار بيده إلى لسانه". (قال المنذري: "إسناده جيد")

• هل تعلم أخي الحبيب أن أفضل الأعمال عند الله تعالى: حفظ اللسان:

أخرج الطبراني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله، أي الأعمال أفضل؟ قال: الصلاة على ميقاتها، قلت: ثم ماذا يا رسول الله؟ قال: أن يسلم المسلمون من لسانك". (صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب)

• هل تعلم أخي الحبيب أن أفضل المسلمين عند الله تعالى من حفظ لسانه:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي موسى رضي الله عنه قال: "قلت: يا رسول الله، أي المسلمين أفضل؟^(١) قال: من سلم^(٢) المسلمون من لسانه ويده."

قال الخطابي -رحمه الله-: "المراد بأفضل المسلمين: أي من جمع إلى أداء حقوقه تعالى وحقوق المسلمين". اهـ

قال عروة بن الزبير -رضي الله عنه-: "مكتوب في الحكمة: لتكن كلمتك طيبة، وليكن وجهك بسطا، تكن أحب إلى الناس ممن يعطيهم العطاء". (حلية الأولياء: ٢/١٧٨).

• وهل تعلم أخي الحبيب أن حفظ اللسان سبيل لدخول الجنة:

- وأخرج البخاري من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من يضمن^(٣) لي ما بين لحيته^(٤) وما بين فخذه^(٥) أضمن له الجنة".

١ - أفضل: أي أكثر درجة عند الله ﷻ

٢ - سلم: نجا

٣ - يضمن: من الضمان بمعنى "الوفاء"، بترك المعصية، فأطلق الضمان وأراد لازمه، وهو أداء الحق الذي عليه، فالمعنى من أدى الحق الذي على لسانه من النطق بما يجب عليه، أو الصمت عمًا لا يعنيه، وأدى الحق الذي على فرجه من وضعه في الحلال وكفه عن الحرام.

وقال الداوودي: "المراد مما بين اللحيين: الفم، فيتناول الأقوال والطعام والشراب، وسائر ما يتأتى من الفم من الفعل، ومن تحفظ من ذلك أمن من الشر كله؛ لأنه لم يبق إلا السمع والبصر. اهـ من كلام الداوودي، لكن خفي عليه أنه بقي البطش باليدين، وإنما يحمل الحديث على أن النطق باللسان أصل في حصول كل مطلوب، فإذا لم ينطق إلا في خير سلم، وقال ابن بطال: "دل الحديث على أن أعظم البلاء على المرء في الدين: لسانه وفرجه، فمن وقى شرهما؛ وقى أعظم الشر". اهـ

٤ - لحيته: بفتح اللام وسكون المهملة والتنثنية، هما العظمان في جانبي الفم، والمراد: بما بينهما، يعني اللسان.

٥ - ما بين فخذه: أي الفرج.

٩- ومن علاج سوء الخلق: الإكثار من ذكر الله تعالى:

فالذكر سبب لاشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والغش والبهتان وغير ذلك من آفات اللسان: يقول ابن القيم -رحمه الله- في كتابه الوابل الصيب ص: ١٥: "الذكر سبب اشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة، والكذب، والفحش، والباطل؛ فإن العبد لا بد له من أن يتكلم، فإن لم يتكلم بذكر الله تعالى وذكر أوامره تكلم بهذه المحرمات أو بعضها، ولا سبيل إلى السلامة منها البتة إلا بذكر الله تعالى".
اهد بتصرف

١٠- ومن علاج سوء الخلق: الإكثار من فعل الطاعات خصوصاً الصلاة:

فالأعمال الصالحة تبعث على مكارم الأخلاق، خصوصاً الصلاة فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر.
قال تعالى ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾^(١) إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴿﴾ (العنكبوت: ٤٥)
وكان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة، قال: "... اللهم اهْدِنِي لأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ، لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا، لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ ". (راوه الإمام مسلم من حديث علي بن أبي طالب ﷺ)
وأخرج الإمام أحمد والبيهقي في "شعب الإيمان" من حديث أبي هريرة ﷺ لما قيل للنبي ﷺ إن فلاناً يصلي من الليل، فإذا أصبح سرق، قال رسول الله ﷺ: "سينهاه ما تقول". أو قال: "ستمعه صلاته".
- وأخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين^(٢) قبلكم، وقربة إلى الله تعالى^(٣)، ومنهاة عن الإثم^(٤)، وتكفير للسيئات".
- وفي رواية: ومنهاة للسيئات، ومطرده للداء عن الجسد". (حسنه الألباني في إرواء الغليل: ٤٥٢)
وأخرج البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله في الحديث القدسي: "... وما يرال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعادني لأعيدنه".

١- وإقامة الصلاة: توفية حدودها، وإدامتها. وتخصيصها بلفظ: "الإقامة" تنبيه على أنه لم يرد إيقاعها فقط، ولهذا لم يأمر بالصلاة، ولم يمدح بها إلا بلفظ الإقامة كقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ (هود: ١١٤) وقوله: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ (الأنفال: ٣) وقوله: ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ (النساء: ١٦٢) فإقامة الصلاة هو الإتيان بها إتياناً كاملاً يتحقق المقصود بها، وهو التوجه الكلي إلى الله، والخشوع فيها، والإقبال عليها بجمعيته، والامتناع بها عن الفحشاء والمنكر، وفي قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ (الماعون: ٥، ٤) وهذا تنبيه على أن المصلين كثير، والمقيمين لها قليل، كما قال عمر ﷺ: الحاج قليل، والركب كثير "أما قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا...﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ (المعارج: ٢٢) فإنه لم يُذكر مفرداً عن معاني "الإقامة" بل وصفهم بقوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَانِضُونَ﴾ (المعارج: ٢٣) إلى قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (المعارج: ٣٤) والله تعالى أعلم

٢- دأب الصالحين: أي عاداتهم وشأنهم.

٣- قربة إلى ربكم: أي ما يتقرب به إلى الله تعالى.

٤- منهاة عن الإثم: أي ينهي عن ارتكاب الإثم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ (العنكبوت: ٤٥)

فإذا أَكْثَرَ الْإِنْسَانُ مِنَ النَّوَافِلِ مَعَ قِيَامِهِ بِالْفَرَائِضِ، نَالَ مَحَبَّةَ اللَّهِ، فَيُحِبُّهُ اللَّهُ، وَإِذَا أَحَبَّهُ كَانَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ سَمِعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، يَعْنِي أَنَّهُ يَكُونُ مُسَدَّدًا لَهُ فِي هَذِهِ الْأَعْضَاءِ الْأَرْبَعَةِ؛ يُسَدِّدُهُ فِي سَمْعِهِ، فَلَا يَسْمَعُ إِلَّا مَا يُرْضِي اللَّهَ، وَيُسَدِّدُهُ فِي بَصَرِهِ، فَلَا يَنْظُرُ إِلَّا إِلَى مَا يَحِبُّ اللَّهُ النَّظَرَ إِلَيْهِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَى الْمَحْرَمِ، وَيُسَدِّدُهُ فِي يَدِهِ، فَلَا يَعْمَلُ بِيَدِهِ إِلَّا مَا يُرْضِي اللَّهَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يُسَدِّدُهُ، وَكَذَلِكَ رِجْلُهُ، فَلَا يَمْشِي إِلَّا إِلَى مَا يُرْضِي اللَّهَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يُسَدِّدُهُ، فَلَا يَسْعَى إِلَّا إِلَى مَا فِيهِ الْخَيْرُ.

• أضف لهذا أن فعل الطاعات تجعل لصاحبها مودة في قلوب الخلق:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ (مريم: ٩٦)

قال السعدي-رحمه الله- في "تفسيره" عند هذه الآية: "هذا من نعمه على عباده، الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح، أن وعدهم أنه يجعل لهم وداً، أي: محبة ووداداً في قلوب أوليائه، وأهل السماء والأرض، وإذا كان لهم في القلوب ود تيسر لهم كثير من أمورهم وحصل لهم من الخيرات والدعوات والإرشاد والقبول والإمامة ما حصل، ولهذا ورد في الحديث الصحيح: "إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أَحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ". (رواه مسلم) وإنما جعل الله لهم وداً، لأنهم ودوه، فوددهم إلى أوليائه وأحبابه". اهـ

وقال ابن القيم-رحمه الله-: الأبدان الزاكية هي التي زكت بطاعة الله، ونبتت على أكل الحلال، فمتى خلصت الأبدان من الحرام وأدناس البشرية التي ينهى عنها العقل والدين والمروءة، وظهرت الأنفس من علائق الدنيا؛ زكت أرض القلب، فقبلت بذر العلوم والمعارف؛ فإن سقيت بعد ذلك بماء الرياضة الشرعية -وهي التي لا تخرج عن علم، ولا تبعد عن واجب، ولا تُعطل سنة - أنبتت من كل زوج كريم، من علم وحكمة وفائدة". (مدارج السالكين: ٢/ ٣١٥)

١١- ومن علاج سوء الخلق: التخلص من أركان سوء الخلق الأربعة: (الجهل، والظلم، والشهوة، والغضب)

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ-: " وَمَنْشَأُ جَمِيعِ الْأَخْلَاقِ السَّافِلَةِ، وَبِنَاوُهَا عَلَى أَرْبَعَةِ أَرْكَانٍ: الْجَهْلُ، وَالظُّلْمُ، وَالشَّهْوَةُ، وَالغَضَبُ.

فَالْجَهْلُ: يُرِيهِ الْحَسَنَ فِي صُورَةِ الْقَبِيحِ، وَالْقَبِيحَ فِي صُورَةِ الْحَسَنِ، وَالْكَمَالَ نَقْصًا، وَالنَّقْصَ كَمَا لَا.

وَالظُّلْمُ: يَحْمِلُهُ عَلَى وَضْعِ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، فَيَغْضَبُ فِي مَوْضِعِ الرِّضَا، وَيَرْضَى فِي مَوْضِعِ الْغَضَبِ، وَيَجْهَلُ فِي مَوْضِعِ الْأَنَاءِ، وَيَبْخُلُ فِي مَوْضِعِ الْبَذْلِ. وَيَبْدُلُ فِي مَوْضِعِ الْبُخْلِ، وَيُحْجِمُ فِي مَوْضِعِ الْإِقْدَامِ، وَيُقَدِّمُ فِي مَوْضِعِ الْإِحْجَامِ. وَيَلِينُ فِي مَوْضِعِ الشَّدَّةِ. وَيَشْتَدُّ فِي مَوْضِعِ اللَّيْنِ. وَيَتَوَاضَعُ فِي مَوْضِعِ الْعِزَّةِ. وَيَتَكَبَّرُ فِي مَوْضِعِ التَّوَاضُعِ.

وَالشَّهْوَةُ: تَحْمِلُهُ عَلَى الْحِرْصِ، وَالشُّحِّ، وَالْبُخْلِ، وَعَدَمِ الْعِفَّةِ، وَالنَّهْمَةِ، وَالْجَشَعِ، وَالذُّلِّ وَالِدِنَاءَاتِ كُلِّهَا.

وَالغَضَبُ: يَحْمِلُهُ عَلَى الْكِبْرِ، وَالْحَقْدِ، وَالْحَسَدِ، وَالْعُدْوَانِ، وَالسَّفَهِ.

وَيَتَرَكَّبُ مِنْ بَيْنِ كُلِّ خُلُقَيْنِ مِنْ هَذِهِ الْأَخْلَاقِ أَخْلَاقٌ مَذْمُومَةٌ.

وَمِلَاكُ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ أَصْلَانِ: إِفْرَاطُ النَّفْسِ فِي الضَّعْفِ، وَإِفْرَاطُهَا فِي الْقُوَّةِ.

فَيَتَوَلَّدُ مِنْ إِفْرَاطِهَا فِي الضَّعْفِ: الْمَهَانَةُ وَالْبُخْلُ، وَالْخِسَّةُ وَاللُّؤْمُ، وَالذُّلُّ وَالْحِرْصُ، وَالشُّحُّ، وَسَفَاسَفُ الْأُمُورِ وَالْأَخْلَاقِ الْمَذْمُومَةِ.

وَيَتَوَلَّدُ مِنْ إِفْرَاطِهَا فِي الْقُوَّةِ: الظُّلْمُ، وَالغَضَبُ، وَالْحِدَّةُ، وَالْفُحْشُ، وَالطَّيْشُ.

وَيَتَوَلَّدُ مِنْ تَرَوُّجِ أَحَدِ الْخُلُقَيْنِ بِالْآخَرِ: أَوْلَادُ غِيَّةٍ^(١) كَثِيرُونَ. فَإِنَّ النَّفْسَ قَدْ تَجَمَّعَ قُوَّةً وَضَعْفًا. فَيَكُونُ صَاحِبُهَا أَجْبَرَ النَّاسِ إِذَا قَدَرَ، وَأَدْلَهُمْ إِذَا فَهَرَ، ظَالِمٌ عَنُوفٌ جَبَّارٌ، فَإِذَا فَهَرَ صَارَ أَدَلَّ مِنْ امْرَأَةٍ. جَبَانٌ عَنِ الْقَوِيِّ، جَرِيءٌ عَلَى الضَّعِيفِ.

فَالْأَخْلَاقُ الدَّمِيمَةُ: يُوَلَّدُ بَعْضُهَا بَعْضًا، كَمَا أَنَّ الْأَخْلَاقَ الْحَمِيدَةَ: يُوَلَّدُ بَعْضُهَا بَعْضًا ". اهـ

(مدارج السالكين: ١/٣٢١)

وَرَوَى الْخَلَّالُ عَنِ الْفُضَيْلِ -رَحِمَهُ اللهُ- أَنَّهُ قَالَ: " مَنْ سَاءَ خُلُقُهُ سَاءَ دِينُهُ ".

وصدق القائل:

إذا رُزِقَ الْفَتَى وَجَهَا وَقَاحًا تَقَلَّبَ فِي الْأُمُورِ كَمَا يَشَاءُ

١٢- ومن علاج سوء الخلق: حمل وتدريب النفس على حسن الخلق:

إن الأخلاق هي الصفات الراسخة في الإنسان والتي يتعامل بها مع غيره، ولا تزال تظهر آثارها بحسب الظروف والوقائع المختلفة كالشجاعة أو الجبن أو التأنى والتهور أو الحلم والطيش أو الأناة والعجلة أو العدل والجور أو الإسراف والبخل... وهكذا.

وهذه الصفات مركزة في الإنسان لا تفارقه، ومن ثمَّ أطلق على الصفة كلمة خُلُق، حيث بينها وبين كلمة خَلَق اشتقاق أصغر (نفس الأحرف والترتيب مع اختلاف الضبط: خَلَق، وخُلُق).

ومن الصفات ما يكون طبيعة وجبلة في الإنسان، ودليل ذلك:

ما أخرجه الإمام مسلم عن ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ لأشج عبد القيس: "إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة^(١)، قال: يا رسول الله: أنا أتخلق بهما أم الله جبلي عليهما، قال: بل جبلك عليهما، قال: الحمد لله الذي جبني على خلقين يحبهما الله ورسوله."

فدل هذا الحديث على أن هناك من الصفات ما هو مجبول عليها الإنسان، وهناك من الصفات ما هو مكتسب بفعل العبد بعد الاستعانة بالله تعالى والهمة العالية وتكليف الخلق المطلوب، كما أن الإنسان يستطيع أن يكتسب بالتدريبات الرياضية عضلات مفتولة، فكذلك يستطيع أن يكتسب بالتكليف أخلاقاً تصير له سجية ومملكة وطبعاً.

كما جاء في الحديث الذي أخرجه ابن ماجه وابن حبان من حديث معاوية بن أبي سفيان-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: "الخير عادة...". (صحيح ابن ماجه: ١٨٢)

فمن تعود فعل الخيرات وترك المنكرات، والأخلاق الحميدة سيكون هذا له سجية وطبع.

وقد جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "ومن يستغف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله."

وأخرج الدارقطني والخطيب في "تاريخ بغداد" من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم، ومن يتحرر الخير يعطه، ومن يتق الشر يوقه."

(ضعفه بعض أهل العلم وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة: ٣٤٢، وفي صحيح الجامع: ٢٣٢٨)

وكما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت: ٦٩)

قال ابن حزم-رحمه الله-: "كانت في عيوب، فلم أزل بالرياضة واطلاعي على ما قالت الأنبياء صلوات الله عليهم- والأفاضل من الحكماء المتأخرين والمتقدمين في الأخلاق، وفي آداب النفس أعاني مداواتها، حتى أعان الله تعالى على أكثر من ذلك بتوفيقه ومنه". (الأخلاق والسير ص: ١٠٧).

وقال ابن عقيل الحنبلي -رحمه الله-: "ولو لم يكن من بركات مجاهدة النفس في حقوق الله، والانتهاز عن محارم الله إلا أنه يعطف عليك، فيسخرها لك، ويطوعها لأمرك، حتى تتقاد لك، ويسقط عنك مؤونة النزاع لها والمجاهدة، حتى تصير طوع يدك وأمرك". (كتاب الفنون: ٤٩٦/٢)

وقال ابن قدامة المقدسي -رحمه الله-: "وقد زعم من غلبت عليه البطالة، فاستنقل الرياضة أن الأخلاق لا يتصور تغييرها، كما لا يتصور تغيير صورة الظاهر!

والجواب: أنه لو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير، لم يكن للمواعظ والوصايا معنى، كيف تنكر تغيير الأخلاق، ونحن نرى الصيد الوحشي يستأنس، والكلب يُعلم ترك الأكل، والفرس تُعلم حسن المشي، وجودة الانقياد، إلا أن بعض الطباع سريعة القبول للصلاح، وبعضها مستصعبة؟!".

(مختصر منهاج القاصدين ص: ١٥٢)

وقال ابن القيم -رحمه الله- في "مدارج السالكين: ٣١٥/٢": "فإن قلت: هل يمكن أن يقع الخلق كسبيًا، أو هو أمر خارج عن الكسب؟

قلت: يمكن أن يقع كسبيًا بالتحلق والتكلف، حتى يصير له سجية وملكة؛ وقد أخرج أبو داود بسنده أن النبي ﷺ قال لأشج عبد القيس ﷺ: "إنَّ فيكَ خُلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الحِلْمُ والأَنَاةُ"، فقال: أَخْلُقَيْنِ تَخَلَّفْتُ بهما؟ أم خُلْقَيْنِ جُبِلْتُ عليهما؟ فقال: "بل خُلْقَيْنِ جُبِلَتْ عليهما" فقال: الحمد لله الذي جبَّنني على خُلْقَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ [ورسولُهُ]. (صحيح أبي داود: ٥٢٢٥) قد دلَّ على أن من الخلق: ما هو طبيعة وجبلة، وما هو مكتسب. وكان النبي ﷺ يقول في دعاء الاستفتاح: "اللهم اهْدني لأحسنِ الأخلاقِ لا يَهْدني لأحسنِها إلا أنتَ، وقتي سيئٌ الأعمال والأخلاق لا يقي سيئها إلا أنتَ". فذكر الكسب والقدر، والله أعلم.

(مدارج السالكين: ٢/٣١٥)

وقال الغزالي -رحمه الله- في بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق:

أحدهما: جودٌ إلهي وكمال فطري، بحيث يُخلق الإنسان ويولد كامل العقل حسن الخلق، قد كفي سلطان الشهوة والغضب، فيصير مؤدبًا بغير تأديب.

والثاني: اكتساب هذه الأخلاق بالمجاهدة والرياضة وحمل النفس على الأعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب". (الإحياء: ٦٣/٣)

فالأخلاق الجميلة يمكن اكتسابها بالرياضة، وهي تكلف الأفعال الصادرة عنها ابتداءً، لتصير طبعًا انتهاءً؛ وقد أخرج الدارقطني والخطيب في "تاريخ بغداد" من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله

ﷺ: "إِنَّمَا العِلْمُ بالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الحِلْمُ بالتَّحَلُّمِ، وَمَنْ يَتَحَرَّ الخَيْرَ يُعْطَهُ، وَمَنْ يَتَّقِ الشَّرَّ يُوقَهُ".

(ضعفه بعض أهل العلم وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة: ٣٤٢، وفي صحيح الجامع: ٢٣٢٨)

فكل من يجاهد نفسه للتخلص من سوء الأخلاق والمنكرات، وكانت نيته صادقه، أعانه الله تعالى على التخلص منها، وأبدلها بضعدها؛ من الأناة والعفة والاستغناء والجود والكرم والحلم والتواضع والعفو.... وغير ذلك من الاخلاق الحميدة.

تنبيه: طالب تزكية النفس وتكميلها وتحليتها بالأعمال الحسنة لا ينالها بعبادة يوم، ولا يُحرم عنها بعضيان يوم .

١٣- ومن علاج سوء الخلق: الدعاء بأن يرزقه الله حسن الخلق:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة: ١٨٦) لذا فإن أهم سبب للتحلي بحسن الخلق هو الإلحاح في الدعاء والرجاء من الله تعالى لكي يُرزق الإنسان حسن الخلق.

وقد كان النبي ﷺ يقول في دعاءه: " وَاهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلَاقِ ^(١)، لا يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا، لا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ ". (رواه مسلم من حديث علي عليه السلام)

- وفي رواية: " كَانَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذَا افْتَتَحَ الصَّلَاةَ كَبَّرَ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي إِلَى قَوْلِهِ: أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ اهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلَاقِ لا يَهْدِنِي لأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَقْتِي سَيِّئِ الأَعْمَالِ وَالأَخْلَاقِ لا يَقي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ ". (أخرجه النسائي والدارقطني)

وأخرج الإمام أحمد وابن حبان عن عبد الله بن مسعود عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: " اللَّهُمَّ كما حَسَنْتَ خَلْقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي ". (صحيح الجامع: ١٣٠٧)

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَالحَاكِمُ عَنْ قُطَيْبَةَ بْنِ مَالِكٍ عليه السلام قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " اللَّهُمَّ جَنِّبْنِي مُنْكَرَاتِ الأَخْلَاقِ، وَالأَعْمَالِ، وَالأَهْوَاءِ، وَالأَدْوَاءِ ". (صححه الألباني في ظلال الجنة: ١٣)

- وفي رواية: " اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الأَخْلَاقِ، وَالأَعْمَالِ، وَالأَهْوَاءِ ".

(صحيح الترمذي: ٣٥٩١) (صحيح الجامع: ١٢٩٨)

فَسَلُّوا اللهُ حُسْنَ الأَخْلَاقِ، وَتَعَوَّدُوا بِهِ مِنْ سَيِّئِهَا

أحبتي في الله... حق على كل من كان مبتلى بسوء الخلق أن يبادر إلى التخلص من هذا المرض الفتاك والداء العضال، ويسعى أن يتحلّى بالأخلاق الحميدة ويجتهد في تحصيلها، فإن الله سيرزقه إياها ولا بد، وذلك بموعود رب العالمين والرسول الأمين ﷺ.

١- وَاهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلَاقِ: أي أرشدني لصوابها، ووفقتي للتخلق بها.

وأخيراً... أحبتي في الله: عَامِلُوا النَّاسَ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، كَمَا تُحِبُّونَ أَنْ يِعَامِلَكُمُ النَّاسُ بِهَا؛ وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى كَمَالِ الْإِيمَانِ، وَبِهَا يَبْتَالُ الْمَرْءُ أَعْلَى الْجَنَانِ، وَيُزْحَرُحُ عَنْ دَرَكِ النَّيْرَانِ.
فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزْحَرَحَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلَيَأْتِيَ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ " .

فَالْعَوْدَةُ الْعَوْدَةُ أَحْبَبِي فِي اللَّهِ إِلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَمَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ قَوْلًا وَعَمَلًا، لِنَفُوزِ بَرَضِي الرَّحْمَنِ، وَنَكُونُ فِي أَعْلَى الْجَنَانِ بِصَحْبَةِ الْحَبِيبِ الْعَدْنَانِ ﷺ.

وبعد...

فهذا آخر ما تيسر جمعه في هذه الرسالة.
وَأَسْأَلُ اللَّهَ -تَعَالَى- أَنْ يَكْتُبَ لَهَا الْقَبُولَ، وَأَنْ يَقْبَلَهَا مِنِّي بِقَبُولِ حَسَنِ، كَمَا أَسْأَلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يَنْفَعَ بِهَا مَوْلِفَهَا وَقَارِئَهَا، وَمَنْ أَعَانَ عَلَى إِخْرَاجِهَا وَنَشْرِهَا.....إِنَّهُ وَلِي ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ.
هَذَا وَمَا كَانَ فِيهَا مِنْ صَوَابٍ فَمِنْ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَمَا كَانَ مِنْ سَهْوٍ أَوْ خَطَأٍ أَوْ نَسْيَانٍ فَمِنِّي وَمِنْ الشَّيْطَانِ، وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْهُ بَرَاءٌ، وَهَذَا شَأْنُ أَيِّ عَمَلٍ بَشَرِي فَإِنَّهُ يَعْتَرِيهِ الْخَطَأُ وَالصَّوَابُ، فَإِنْ كَانَ صَوَابًا فَادْعُ لِي بِالْقَبُولِ وَالتَّوْفِيقِ، وَإِنْ كَانَ تَمَّ خَطَأً فَاسْتَغْفِرْ لِي:

وإن وجدت العيب فسد الخلا جَلَّ مِنْ لَا عَيْبَ فِيهِ وَعَلَا

فَاللَّهُمَّ اجْعَلْ عَمَلِي كُلَّهُ صَالِحًا وَلَوْجْهَكَ خَالِصًا، وَلَا تَجْعَلْ لِأَحَدٍ فِيهِ نَصِيبًا

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ.

وَأخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.
هَذَا وَاللَّهُ -تَعَالَى- أَعْلَى وَأَعْلَمُ.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك